دور المرأة السياسي فى العالم العربي في العصر الحديث

☜إعـــداد

د/ حصه جمعان الهلالى الزهراء

نماذج من دور المرأة السياسي عبر التاريخ

كان ومازال للمرأة دور مهم في حياة الأسرة فهي الأم والأخت والزوجة والابنة، وكانت تقف دائما بجانب أسرتها وتساهم كثيرا في توفير احتياجات الأسرة وذلك بعملها الدءوب وسعيها المتواصل والمستمر في إسعاد أسرتها. فهي ربة المنزل المثابرة، وهي التي تساعد في موسم الحصاد، وبجانب عملها في الزراعة كان لها أعمال أخرى منها: الاعتناء ببيتها وزوجها وأولادها وغيرة من الأعمال المنزلية. ولم يقتصر عملها فقط على ما ذكر بل كانت تساعد زوجها في مهنته أي كان نوعها،على سبيل المثال فهي تهيئ الجلود لزوجها الخراز، وتنفخ الكير لزوجها الحداد، وتجز الصوف لدى زوجها الراعي، وتعمل عند من يملك الحيوانات من رعايتها وحلبها .... علاوة على تلك الأعمال فقد نجد بعضهن تعمل في مجال التعليم وخاصة اللاتي تعلمن في الكتاتيب وبالتالي نقلن هذا العلم إلى من هن أصغر سنا[١].

ومن هذا المنطلق نرى أن المرأة لها دور مهم في تأمين الاحتياجات الاقتصادية للعائلة، كما كان لها دور اجتماعي بارز، وهذا الأمر لا يقتصر على المرأة الحضرية فقط بل البدوية أيضا. فالمرأة عامة استطاعت على مر العصور أن تثبت مكانتها في جميع الميادين[٢].

لكن ماذا عن دور المرأة السياسي؟

فالمرأة منذ القدعرفت عنها المشاركات السياسية فنجد مثلا في مصر القديمة: احتلت مكانة عالية تولت الملك وورثت العرش مثل الملكة حتشبسوت [٣] و نفرتيتي[٤] و كليويترا [٥] وغيرهن ، كما مارست النساء هناك التجارة والملاحة.أما في بلاد الشام فقد حكمت ملكات

فاقت شهرتهم الرجال مثل زنوبيا ملكة تدمر أوماريا الزباء التي حكمت في منطقة الجزيرة على مشارف الشام [٦]، , كما تذكر الوثائق أسماء خمس ملكات حكمن في دولة الأنباط. بل حازت على لقب ملكة العرب الملكة شمسه (سمسي)، التي حكمت في منطقة أريبي وكانت عضواً في تحالف (ضم ملك دمشق وقبائل عربية حتى منطقة سبأ في اليمن ، وإذا اتجهنا نحو منطقة الجزيرة العربية نجد ذكراً لملكات حكمن في كندا العربية كما ذكرت ملكت في اليمن فاقت شهرتهم الملوك الرجال مثل بلقيس في سبأ [١] . ولو تجاوزنا النساء الحاكمات إلى العامة منهن لوجدناهن اتصفن بالفصاحة والفطنة والذكاء والدهاء مثل زرقاء اليمامة, بل لشهرة بعض هؤلاء النساء نسب أبناؤهم لهن مثل عمرو بن هند. وابن ماء السماء، وغيرهم كثير. هذا كان حال المرأة العربية فقد دخلت جميع المجالات حتى وصلت الحكم ولا ندري لماذا كان الباحثون يقدمون لها صورة مختلفة فهل هذا عدم عمق في دراسة الموضوع أم إقلال من شأن المرأة العربية[٢]

ففي دراستنا لأوضاع المرأة تاريخياً اختلفت مكانة المرأة ، وما تتمتع به أو يُحجب عنها من حقوق وحريات عبر رحلة الإنسانية على مر العصور، فتارة نجدها الإلهة والملكة المتوجة وقائدة للجيوش وشريكة في بناء الحضارة وحرة في إدارة شئونها الخاصة، وأخرى نجدها تباع وتورث ولا تمتلك مقدرات نفسها.

وسجلت صفحات التاريخ فصولاً عن علاقة الرجل بالمرأة، ودونت الأخرى أطر حقوق المرأة القانونية والتشريعية ورسمت الثالثة ملامح

الحركة النسائية المدافعة عن حقوقها وحرياتها وصانعة السلام وواهبة الأمان.

ونستعرض في الصفحات التالية بعض الملامح البارزة في رحلة المرأة في الحضارات القديمة، وفي الديانات السماوية، وأخيرا في العصر الحديث.

المرأة في الحضارات الإنسانية:

• الحضارة الآشورية والبابلية :

في بداية حضارة الرافدين وبرغم قيادة الرجل للحروب وقيامه بكل مهامها وتفوقه اجتماعيا على المرأة سجلت أولى الشرائع في حضارة الرافدين وهى شريعة "أورنامو" حقاً للمرأة ضد الاغتصاب، وحقها في الإرث من زوجها .

كما حافظت شريعة (عشتار) على حقوق المرأة المريضة والعاجزة. وتضمنت شريعة (حمورابى) التي تتألف من ٢٨٢ نصا تشريعاً، ٩٢ نصاً تتعلق بالمرأة وحقها في أن تمارس البيع والتجارة ، وحقها في التملك والوراثة والتوريث . وشهد العصر البابلي وصول الملكة (سميراميس) إلى الحكم، والذي استمر خمس سنوات ، واشتهرت سميراميس بالحكمة والقوة والقدرة على إدارة الدولة وقيادة الحروب والبناء والتعمير.

• الحضارة الإغريقية والرومانية :

فالمرأة الإغريقية والرومانية للنسل فقط، وحُرمت المرأة الحرة من الكثير من الحقوق، فقد حُرمت من حقها في القراءة والكتابة، ومن حقها في الإرث وحقها في طلب الطلاق، واعتبرت المرأة ملكا لأبيها

قبل الزواج ثم ملكاً لزوجها الذي كان من حقه عرضها للبيع والشراء.وكان حظ المرأة في مدينة أسبرطه أفضل، بسبب انشغال الرجال في الحروب، فحصلت على بعض المكاسب ومنحت بعض الحقوق.ومع تقدم الحضارة الإغريقية وفي نهاية العهد الاغريقى ازدادت حقوق المرأة ، واستطاعت أن تمارس البيع والشراء وتشارك في الاحتفالات.

• **الحضارة الفرعونية:**

تمتعت المرأة في ظل الحضارة الفرعونية بكثير من الحقوق .. فكانت تشارك في الحياة العامة، و تحضر مجالس الحكم، بل وتتولى الحكم.وعظّمت الحضارة الفرعونية دور المرأة وجعلتها إلهة العدل (أمهوت) وكانت (إيزيس) إلهة الجمال.

• **الحضارة الصينية:**

سُميت المرأة (بالمياه المؤلمة) التي تغسل السعادة والمال، وكان من حق الزوج أن يبيع زوجته كالجارية ويسلب ممتلكاتها، ولم يكن من حق الزوجة الزواج بعد وفاة زوجها. ومن تعاليم كنفوشيوس للرجل والمرأة أن المرأة تابعة فعليها الطاعة.

• **الحضارة الهندية:**

حرمت شرائع (مانو) المرأة من حقها في الاستقلال عن سلطة أبيها أو زوجها أو ولدها. وكانت المرأة تحرق مع زوجها بعد وفاته. وتُقدم قربانا للآلهة لترضى.وكانت النساء تحسب جزءا من غنائم الحرب بعد النصر، كما كانت شرائع الهندوس تحرم المرأة من الحق في العمل.وفي التعليم والتملك، ومن حقها في طلب الطلاق.

وفي المقابل نجد في تشريع مانو ما يحث على الرفق بالنساء فلا يجوز ضربهن حتى بزهرة. وأن يخلى الطريق للمرأة كما يخلى للكهول والكهنة.

• **الحضارة الفارسية:**

منحت قوانين (زرادشت) المرأة حقوقاً كثيرة فكانت تمتلك العقار وتصرف شئونه بل وتدير شئون زوجها، وكان لها حق اختيار الزوج. وكانت الزرادشتية تبيح تعدد الزوجات، وتعاقب الزاني بالقتل، ولكن المرأة خسرت حقوقها بعد وفاة زرادشت وأصبحت لا يحق لها أن ترى أحداً من الرجال.

المرأة في الديانات السماوية:

في اليهودية:

لقد خلق الله الزوجين الذكر والأنثى وجعل كلا منهما صنو الآخر في قصة الحياة الإنسانية منذ بدء الخليقة حتى المرجع والمآب إليه. ولم يجعل لأي منهما مكانة دون الآخر، وشرع العقائد والعبادات التي يستويان في التكليف بها والجزاء عليها.

ويضم العهد القديم أسفاراً كاملة بأسماء سيدات من نساء العهد القديم مثل راعوث وأستير . وقد مارست المرأة القضاء مثل (ديوره) القاضية والتي كانت تقود الشعب أيضاً .وضربت "خلده النبيه " مثالا للمرأة الفقهية في أمور الدين وصاحبة الرأي السياسي الحكيم.كما اشتركت المرأة في جوقة الترانيم في الحرب وكانت قائدة للترانيم مثل مريم أخت موسى.

المرأة في المسيحية:

أعطى سيدنا عيسى عليه السلام دروساً عظيمة في المساواة بين الرجل والمرأة ، فقد كان تلاميذه وأتباعه من الرجال والنساء على حد سواء، وأعطى المرأة الحق في طلب الطلاق إذا ثبت على زوجها الزنا، وأحسن المسيح معاملة النساء وأجرى معجزات لنساء كثيرات، كما قام بشفاء أخريات، وطالب المرأة بالالتزام بالإيمان .وسجل تاريخ الكنيسة أسماء لسيدات فضليات مثل "مريم أم يوحنا الملقب مرقس وهو مؤسس الكنيسة المصرية، ففي منزلها أواني أكل المسيح والرسل فيها العشاء الأخير وأصبحت هذه الغرفة الكنيسة الأولى .

المرأة في الإسلام:

واستمرت المرأة عبر الزمن تواكب تطور مجتمعها، خاصة مع ظهور الإسلام الذي أعطاها دفعاً فكرياً ومكانة عالية جعلتها تعي مسؤولياتها ودورها المطلوب منها في هذا المجتمع.فبدأت تهتم بشكل أكبر بالثقافة والعلوم إضافة للغة والفقه لتكون مضرب الأمثال برجاحة العقل والبطولة .

ومنذ عهد الرسول صلى الله علية وسلم والخلفاء الراشدين اعتبر العمل السياسي جزءًا من الدين، إذ كانت السياسة عندهم هي حراسة للإيمان، و المرأة اعتنقت الإسلام منذ نزول الوحي إذ كانت السيدة خديجة- رضي الله عنها- هي أول الناس إسلامًا، ووضح من شخصيتها أنها على درجة عالية من الوعي السياسي، و الصحابيات الجليلات في المرحلة السرية والجهرية كان لهن الدور الأعظم في نشر

وحماية الدعوة الإسلامية، وتحملها للابتلاء والامتحان في سبيل هذا الدين.

ولا ننسى هجرة المسلمات إلى المدينة المنورة، ودورهن في تأسيس هذا الوطن الجديد للمسلمين وهناك نماذج مضيئة من هؤلاء المهاجرات مثل "زينب بنت النبي"- صلى الله عليه وسلم- و"أم سلمه"، "وأم أيمن"، و"أسماء بنت أبي بكر"، رضي الله عنهن، وعلق الإمام الزهري على هجرة المسلمات إذ قال: "وما نعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها"، ومن ثم كانت الهجرة واجبة على الرجال والنساء على حد سواء".

ثم كانت مشاركة الصحابيات في البيعات التي بدأت بمكة، وكانت على الإيمان والإسلام، ثم مشاركة الصحابيات في بيعة العقبة الثانية، ومبايعة نساء الأنصار للنبي- صلى الله عليه وسلم- بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، وبيعة الرضوان التي كانت بيعة على الموت ثم بيعة النساء بعد فتح مكة والتي ذكر القرآن الكريم بنودها في سورة الممتحنة [1]، وكانت بيعة العقيدة وحماية المجتمع المسلم وشاركت في هذه البيعة حوالي (٣٠٠) امرأة.

وكان للمرأة دور في الجهاد على عهد النبي- صلى الله عليه وسلم-، وشاركت الصحابيات في الغزوات مثل (أحد) و(الخندق)...وغيرها، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان دور المرأة المسلمة في حروب الردة واضحا وجليا،من هؤلاء المسلمات "نسيبة بنت كعب" و"آزاد" زوجة "شهر بن باذام"، ودورها في قتل الأسود العنسي مدعي النبوة في اليمن، ثم كان لها مشاركة عظيمة في الفتوح الإسلامية، وما تناوله

البلاذري في كتباه (فتوح البلدان) من أن جميع الجيوش الإسلامية كانت تخرج ومعها النساء والذراري، إلا أن هذا الدور تعرض لإهمال تاريخي.

وشاركت المرأة في الجهاد العسكري، وتولت المناصب؛ ففي عهد عمر بن الخطاب ولّى (الشفاء بنت عبد الله) الحسبة في السوق[١]، وأنكرت (أسماء بنت أبي بكر) على الحجاج ظلمه[٢] ولا ننسى الدور السياسي للمرأة المسلمة في أحداث الفتنة في عهدي "عثمان بن عفان، و"علي بن أبي طالب"- رضي الله عنهما، وموقف أمهات المؤمنين والصحابيات من أحداث الفتنة حتى مقتل "عثمان بن عفان"، وكان موقف أمهات المؤمنين حصيفًا، إذ رفضْن المشاركة فيها ورفضن التهم التي وجهتها الغوغاء الثائرة إلى "عثمان بن عفان"،ووضح ذلك من خروج السيدة عائشة إلى البصرة بعد مقتل "عثمان"، وما صاحب ذلك من أحداث،وأكدت أن خروجها لم يكن غوغائيًا بل كان خروجًا واعيًا شارك فيه الكثير من الصحابة، ونرجع ذلك إلى قول الإمام النووي في أن خروجها كان واجبًا في حقها وحق من خرج معها من الصحابة [٣].

أما المرحلة النضالية والفتوحات التي عاشتها الأمة العربية في تلك الفترة قدمت لنا العديد من السيدات اللواتي كن رمزاً للكفاح والبطولة لم تقدمها سواها وأورد في هذا المجال الخنساء ونسيبة بنت كعب، وخوله بنت الأزور .حتى كتب التاريخ العربي زخرت بقصص النساء العربيات اللواتي أظهرن مدى وعيهن لواقعهن وما ينبغي لهن القيام به لهذا المجتمع.

فالسيدة زبيدة بنت جعفر المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد لها كثير من الآثار والمساهمات فهي التي قامت بمشروع سوق الماء على طريق الحج . ويحدثنا ابن منقذ في كتابه الاعتبار عن كثير من بطولات النساء وشجاعتهم فذكر قصة امرأة عجوز شباركت الرجال في قتال الصليبيين وتحدث عن بطولة أخرى استطاعت أن تأسر ثلاثة من عسكرهم وامرأة قتلت زوجها لخيانته لوطنه وبما أن العهدين النوري والأيوبي كانا مزدهرين علمياً إضافة للنضال والكفاح نجد عطاء المرأة العربية لم يتوقف عند الكفاح فقط بل تجاوزه إلى مختلف أنواع العلوم لتصل مساهماتها إلى البناء فشاركت في بناء الكثير من المؤسسات الاجتماعية والثقافية والدينية مثل المدارس -الرِّبط - الخوانق - التُرب والحمامات. وما تزال حتى اليوم هذه الآثار ماثلة أمام أعيننا كمدرسة ست الشام[1]، والصاحبة ضيفة خاتون في حلب،التي حاربت الصليبين والتركمان والخوارزميين ودخلت في علاقات دبلوماسية بلغت إلى درجة المصاهرة[2]، وسواها في مصر ودمشق والقدس....الخ بل الأكثر من ذلك هو أن مؤرخ الشام، وإمام أهل الحديث في زمانه الفقيه، ابن عساكر قد تتلمذ في جملة من تتلمذ على أيديهم أكثر من ثمانين امرأة مما يدل على كثرة النساء المشتغلين بالعلم والدين في ذلك العصر. بل لم يكن هناك غضاضة في أن يتلقى طالب العلم علمه على يد امرأة. بل أكثر من ذلك، جلست المرأة في الجوامع وغيرها من أماكن التدريس ليأخذ عنها طلاب العلم رجالاً ونساءً على السواء.

إذن فالمرأة في العصور الإسلامية اتسم عملها بالوضوح في شتى المجالات وظهر دورها البارز في المجال السياسي على المستوي الداخلي والخارجي. ليستمر هذا الدور للنساء في العصور التالية.

دور النساء في العصر الحديث:

في العهد العثماني:

إن الدراسات عن العهد العثماني عتمت بشكل كبير فيه على دور المرأة العربية وكانت مجحفة بحقها, فقد أظهرتها كإنسان غير فعال لا دور لها في المجتمع بدون حيلة أو قوة. بينما الحقيقة كانت عكس ذلك. فمشاركاتها بقيت فعالة في المجتمع لكن اضطراب الحكم والاقتصاد وعدم التشجيع قلل من مساهماتها, بل ظلت تلعب الدور الخطير الذي ميزها عن سواها من وراء الكواليس لتثبت أن المرأة بإمكانها أن تقوم بالكثير في أي ظرف أو زمان. وكتب الحياة الاجتماعية عن العهد العثماني تظهر لدارسها عمق تأثير المرأة في منزلها وأسرتها فهي الأم ...الجدة.... العمة... هذه الشخصية المحورية الهامة المسيطرة في المنزل تماثل سلطة الأب تأمر... تدير...تنظم... وتحل كل أمور الأسرة, استطاعت سلطتها بمشاركة الأب أن تساهم في تماسك الأسرة وبقائها .ومن المعروف أن السلاطين العثمانيين قد اتخذوا في قصورهم "الحريم السلطاني" وتمثلن في والدة السلطان، وزوجاته، وهؤلاء هن الفئة الأولى في القصر، ثم بنات السلطان وأولاده الصغار، ثم فئات من الجواري ويشغل بعضهن وظائف كبرى في القصر، وكن هؤلاء يعشن في أجنحة خاصة معدة لهن وهي عبارة عن مبان مستقلة أو وحدات سكنية مستقلة غاية في الجمال والفخامة، وأطلق على كل مبنى اسم "

دائرة " خصصت دائرة لكل سيدة من سيدات الفئة الأولى في الحريم السلطاني وكذلك أولاد السلطان وبناته. ويقوم على حراستهن وخدمتهن عدد كثيف من الخصيان البيض والسود، وعلى رأسهم رؤساء أو أغوات [١]. وعرف عن منطقة الحريم أنها كانت تحاط بأسوار عالية وعليها حراسة مشددة لأنها كانت تعتبر منطقة مغلقة أو منطقة محرمة. وكان يوجد في منطقة أجنحة الحريم مساحات واسعة من الحدائق المنسقة أجمل تنسيق، والى جانبها عدد من الساحات المكشوفة، وكان للسلطان مقصورة خاصة وسط أجنحة الحريم، وتحوي غرفة نومه وحماما وقاعة استقبال كبيرة كان يؤدي فيها الصلاة، ويستقبل فيها قريباته المتزوجات. وعند زيارته لهذه الأجنحة كانت تصحبة الكايا [٢].

والسلطان يتمتع باحترام يفوق ما يتمتع به سائر البشر، وعرف عن سلاطين آل عثمان تعدد الزوجات لكن لم يتخطوا في ذلك الحد الشرعي، وهؤلاء الزوجات أميرات مسلمات ومسيحيات تزوجن بعقود شرعية ونهج هذا النهج فقط السلاطين السبعة [٣] لكن حدث بعد ذلك أن أنصرف السلاطين إلى الجواري الحسان [٤]اللاتي كان يموج بهن القصر العثماني،وهؤلاء كان القصر يعد لهن دراسات في الثقافة الدينية والعامة والسلوك واللغات كالتركية والفارسية والفرنسية والعربية والانجليزية، علاوة على ذلك كانت تتلقى دروس في التطريز والحياكة والغناء والرقص...الخ ،ولهذا لم يكن على درجة واحدة بل كن في مجموعات على حسب علومهن وجمالهن وكانت أعلى مرتبة لهن هي التي يطلق عليها لقب (باش قادين[١])، وتكون للسلطان أو لكبار رجال الدولة. وكانت تلي القادينات في المرتبة جوار يطلق عليهن "الكدكليات [٢]" أي

المميزة وكن مرشحات للترقية إلى مرتبة قادين، ومهمة الكدكليات القيام على خدمة السلطان شخصيا لذلك اتخذهن السلطان محضيات له، ويعمل معهن فتيا ت يطلق عليهن "خاص أوطة لق"أو قبالة أي فتيات الحجرات أو سعيدة الحظ. إضافة إلى هؤلاء كان هناك المسئولة عن أجنحة الحريم"المعلمة"، والمسئولة عن المسائل المالية الخاصة وتعرف باسم" خزينة دار أوسطى" ، والنوع الأخر من الجواري يطلق علية لقب "شاكر زادة [٣]" وهن التلميذات الملتحقات حديثا بالقصر وكان عملهن فقط هو تلقي العلوم والمعارف العملية والنظرية. وآخر طبقة في النظام الحريمى الجواري الخادمات وهذه أدنى مستوى في طبقة الحريم السلطاني ولا يرتفعن من مراتبهن إلا نادرا. وعلى هذا النحو كان عدد الحريم السلطان هائلا في القصر على اختلاف درجاتهن ومراتبهن.

ومع ذلك كان لكل زوجة أو سلطانة أو جارية مقربة للسلطان وضع محدد من خلال البروتوكولات العثمانية، فالسلطانة التي تنجب ولدا تميز عن السلطانة التي تنجب أنثي، ويتبع ذلك تميزا أخر في المخصصات المالية التي ترصد لكل سلطانة، وفيما عدا ذلك فلكل واحدة منهن جناحها وحاشيتها الخاصة.

دور الحريم العثماني في السياسة:

إن سلاطين الفترة الأولى كان لهم من قوة الشخصية ما جعل كل زوجة منهم تأخذ حجمها الطبيعي فقط كزوجة للسلطان فلا تتدخل في شؤون الدولة ولا تمارس نفوذا على الصدر الأعظم أو غيرة من كبار رجال الدولة، كذلك فإن زواج السلطان من الكتابيات الأجنبيات كان يتم في ظروف متباينة ولدوافع مختلفة منها توثيق العلاقات وحسن الجوار، أو

تنفيذا لبنود اتفاقية عقدت بين الطرفين ولضمان استمرارها كانت تتم مثل هذه الزيجات، ومنهم من يتزوج الكتابية كتخطيط عسكري تعقده الدولة العثمانية لتضمن وقوف هذه الدولة على الحياد في حروبها وتوسعها العسكري.

المهم في الأمر أن اغلبهن كن يعتنقن الإسلام بعد فترة من الزواج ومنهن من بقيت على دينها وولائها لدولتها الأم. وبهذه الطريقة أصبح القصر ملئ بالعنصر البشري النسائي على اختلاف أنواعه وأجناسه،أدى ذلك إلى عواقب وخيمة كان من نتيجتها تدهور الدولة ، حيث كان لهذا التعدد أن كثرت الفتن والغيرة والتباغض والحسد بين الإخوة والأخوات والأمهات وضاعت هيبة السلطان بعد أن أصبح يصغي إلى هذه وتلك، و اشترك الخصيان ورؤساؤهم والصدر الأعظم في هذه الفتن وتنتهي هذه المؤامرة أو تلك بقتل ولي العهد أو السلطان نفسه.

أما السلطانة الأم فقد كان لها دور خطير في الدولة وهو أعلى لقب تطمح إلية كل سيدة من سيدات القصر، لأن السلطانة الأم لها قدر كبير من التبجيل ولا يرفض لها طلبا من السلطان أو غيرة لأن نفوذها يمتد لكل من بالقصر من الجواري والخدم والأولاد وزوجاتهم ، وكان تحت يدها مديرة لمكتبها أو ما تسمى رئيسة (كاخيا [1] سلطانة والدة) ويقع عليها الاختيار من بين السيدات المتقدمات في السن والتي لها خبرة في أجنحة الحريم السلطاني للاستفادة من تجاربها وخبرتها ويعمل تحت خبرتها العديد من الفتيات ، وتعتبر المتحدثة الرسمية باسم الوالدة، وفي ظل هذا الوضع تألق نجم الوالدة إذا كانت سيدة أجنبية الأصل ذات شخصية قوية ومارست نفوذا واسعا جدا سواء في القصر أو في دوائر

الحكومة ،وتعارض نفوذ كاخيا سلطانة مع نفوذ رئيس الخصيان ، وكانت الغلبة في غالب الأحوال للسيدة الكاخيا، لذلك كانت تستأثر كثيرا بموضوعات السياسة والموضوعات ذات الطابع الهام والعاجل.

وهكذا بدأ نفوذ هؤلاء النساء يتغلغل رويدا رويدا في البلاط السياسي للدولة والسبب في ذلك يعود إلى :

❖ ضعف شخصيات السلاطين الذين حكموا من النصف الثاني من القرن السادس عشر والقرن الذي يليه، وسبب هذا الضعف يعود إلى انصرافهم عن شؤون الدولة وعدم خروجهم مع الجيوش إلى ساحات القتال (١).

❖ كذلك فضل السلاطين الركون إلى الجناح الحر يمي بما فية من متع وانعزلوا عن جلسات الديوان الهمايوني وعن مراقبة أعمال أعضائهم ووزرائهم،لذلك أطلق عليهم لقب (سلاطين لا يراهم أحد)، فكان عدد من أولائك السلاطين يتعرضون للعزل نتيجة تمرد عسكري تقوم به الفيالق الانكشارية أو نتيجة فتوى تصدر عن شيخ الإسلام بعدم صلاحيتهم للاستمرار في الحكم.

❖ ومن أسباب ضعف شخصية السلطان أيضا الأسلوب الذي اتبع في تنشئتهم منذ أن كانوا أمراء حيث حددت إقامتهم داخل القصر وحرموا من الاتصال الخارجي، فعاشوا في عزلة بعيدا عن هموم وأخبار دولتهم محاطين بالجواري وغيرهم وبالتالي كان من السهل التدخل في شؤونهم وإدارة الدولة من قبل الحريم، خاصة إذا تولوا الحكم في سن مبكرة جدا.

فكان عليهم وصاية يباشرها الوزير بشكل ظاهر، لكن السلطة الفعلية في يد السلطانة الأم أو أي شخصية من شخصيات الفئة الأولى من الحريم.

- ❖ كذلك مجموعة البشوات الذين تعاقبوا بكثرة على منصب الصدر الأعظم.مما أضعف هذا المنصب ومن يتولاه لأن الوالدة السلطانة أو الباش قادين، أو القادين هن من كان يعين ويعزل هؤلاء لانصياع السلاطين لهن ، وكن يخترن لهذا المنصب من كان متقدما جدا في السن، أو ضعيف الشخصية ،فأصبحت الدولة تجمع المتناقضات من سلطان صغير جدا في السن وصدر أعظم كبير جدا والسلطة الفعلية في أيدي الفئة الأولى من الحريم السلطاني، وبذلك تدخلن في الديوان الهمايوني وأصبحت القرارات تخضع لتوجيهاتهن .

لم يقتصر الأمر على توجيه القرارات بل إنهن سيطرن على عقول السلاطين في توجيههم إلى قتل أبنائهم ووزرائهم وقواد الجيوش وكل من يقف في طريق سلطاتهن، وخير مثال على ذلك زوجة السلطان سليمان القانوني(روكسلانة) التي دخلت القصر كجارية ثم تزوجها السلطان وأنجبت له البنين والبنات، أصبحت مستشارة السلطان في شؤون الدولة ،فتخلى من أجلها عن قيادة الحملات وإدارة شؤونه ،عرفت روكسلانة مكانتها لذي السلطان، فتضائل أي نفوذ في الدولة أمام سلطتها الطاغية وذكائها اللماح، فبدأت في إثارة الفتن لتحقق مآربها وهي تعيين ابنها وليا للعهد بدلا من الأمير مصطفى ابن السلطان من زوجة شركسية،فبدأت العمل على ذلك بإثارة الفتنة بين السلطان وزوجته الشركسية حتى كرهها وتجاهلها، ثم بدأت تكيد

للابن الأكبر مصطفى وجعلت السلطان ينقل الأمير إلى خارج استانبول ليكون بعيدا عنها ، ثم التفتت للصدر الأعظم للسلطان وهو إبراهيم باشا وكان من خيرة الصدور العظام وصهر السلطان ، وموضع ثقته وتقديره ، فكانت روكسلانة تخشى على مخططاتها منه، لذلك طلبت من السلطان عزلة من منصبة،ولم تكتفي بذلك بل ظلت وراء الأمر حتى طلبت من السلطان القضاء نهائيا علية بقتلة وتم اغتياله،ولم يشفع له شيء من انتصاراته ومكانته لدى السلطان. ولم ينتهي دور روكسلانة عند هذا الحد بل عينت صدر أعظم جديد زوجته ابنتها (محرمة) فكان طوع أمرها وعن طريقة

وبتحقيق الفتنة بين السلطان وابنة مصطفى استطاعت تحقيق مطامعها في تعيين ابنها وليا للعهد وقتل ولي العد المؤهل للحكم فحرمت الدولة من سلطان مرتقب يتمتع بكافة الامتيازات التي تجعل منه جديرا بالعرش خلفا لوالدة سليمان القانوني، وفي نفس الوقت قامت حرب أهلية بين ابنيها سليم والأمير أبو يزيد حاكم إقليم فرمان كل منهما يطلب الحكم ووالدهما مازال على العرش وهذا بسبب فتنة الوالدة التي ماتت والأمور على حالها من الدمار.

ولم يقتصر الأمر على روكسلانة بل ظهرت السيدة (نور بانو أو سيدة النور أو السلطانة الوالدة) وهي والدة السلطان مراد الثالث وكانت ذات مركز خطير وقوي في الدولة , كذلك كانت الزوجة الأولى للسلطان (كبيرة القادينات صفية) وقد تسمى في بعض المصادر (بالسلطانة بافو) نسبة إلى أسرتها المسيحية النبيلة من البندقية،وكانت قد اختطفت من قبل القراصنة عندما كانت صغيرة

وبيعت كجارية ثم ألحقت بالقصر السلطاني وتدرجت في مناصب الحريم- السالفة الذكر- حتى أصبحت زوجة السلطان لجمالها وذكائها، فاستغلت حب السلطان لها ووجهت سياسة الدولة العثمانية الخارجية لخدمة مصالح جمهورية البندقية وطنها الأم. وتذكر الكثير من المراجع أنها كانت حريصة كل الحرص بعد وفاة زوجها على استمرار نفوذها في شتى أجهزة الحكومة.

ودار صراع خفي بين هاتين الشخصيتين حول إثبات القوى واستغلال النفوذ، حتى انتقلت أنباء ذلك النفوذ إلى أجهزة الحكومة الأوروبية عن طريق سفرائهم داخل الدولة حيث أبلغوا حكوماتهم أن سيدات الحريم السلطاني يقمن بدور كبير في حكم الدولة وان السلطانة الأم هي المسيطرة على التعيينات في الدولة من بشوات وصدور عظام وغيرهم.

لكن بعد وفاة السلطان كانت سيطرة الزوجة أقوى وذلك لأن الحكم أصبح لأبنائها وبالتالي كانت سيطرتها عليهم عن طريق إبعادهم عن الحكم وإشغالهم بالجواري الحسان، فترك السلطان لوالدته تصريف شؤون الدولة وأخذت مركز القوة وجرد جدته السلطانة من كافة نفوذها فأمر بحبسها في السراي القديم ومنع كل اتصال بها وظلت كذلك حتى وفاتها.

وبعد وفاة السلطانة الوالدة حاولت شخصية أخرى في عهد السلطان مراد الثالث وكانت ذا نفوذ وقوة وهي سيدة عجوز تدعى (جانفيد خاتون) تعمل كايا في القصر السلطاني والقيمة على الجواري في القصور السلطانية الأخرى، حاولت أن تسير على خطى الوالدة

فأكثرت من شراء الجواري بلا عدد خاصة انه لم يكن هناك ميزانية منظمة للدولة وبالتالي كان الإنفاق بلا حدود مما سبب للدولة أزمة مالية خانقة نتيجة إسراف الحريم السلطاني،مما اضطر الدولة إلى سك عملة ناقصة المعيار مما استدعى الانكشارية إلى رفضها وبالتالي القيام بثورة قتلوا فيها الدفتر دار باش ومحمد باشا بكلر بك الروملى، وبالتالي انعكس ذلك على وضع الدولة العثمانية في أوروبا وآسيا فانتشرت الفتن والاضطرابات في كل مكان .

أما أخت السلطان مراد الثالث(أسمات) وكانت زوجة للصدر الأعظم محمد صوقلو باشا فكانت ذات مركز قوي في الدولة.

والسلطانة الأم (كوزم ماهيبكر) جدة السلطان إبراهيم الأول (١٦٤٠-١٦٤٨م) وهي يونانية الأصل تفردت بالحكم والسلطة،ونافستها والدة السلطان (طرخانة) وهي روسية الأصل مع قادينات القصر، حيث يذكر بعض المؤرخين أنة لم يحدث من قبل أن حكمت سيدات الحريم السلطاني الدولة بمثل هذا الشمول لدرجة أنها طلبت من ابنها أن يقتل الصدر الأعظم (قرة مصطفى باشا) واستجاب السلطان لطلبها دون نقاش ولم تشفع له حروبه وانتصاراته ضد الصفويين ،ولم يقتصر الأمر على ذلك بل انه استمر في سلسلة قتل الصدور العظام إذا لم يكونوا على هوى السلطانة واستمر تدهور البلاد في عهد هذا السلطان الذي انصرف عن دولته وتركها بأيدي الجواري الروسيات والبولنديات والمجريات والفرنسيات يصرفن الدولة حسب أهوائهن وأطماعهن حتى ثار الانكشارية وشنقوه.

لم يكن هذا الحال في عهد من سبق فقط بل استمرت نفس السلسة في من جاء بعدهم من خلفاء وأصبح الحريم السلطاني من أكبر القوى في تاريخ الدولة والتي ساهمت في التعيينات والعزل والقتل والفتن الخ [١].

لكن ومع ذلك كله قامت الكثير من نساء الحكام والطبقة الراقية والمتعلمات في المنطقة العربية والإسلامية بالكثير من العمل الخيري والاجتماعي، فعلى سبيل المثال: نساء الخلفاء العثمانيين كن يقمن بالكثير من الأنشطة الخيرية، فقد كانت السلطانة الوالدة (وهو لقب لمن يجلس ابنها على العرش العثماني) لها إيرادات واسعة تأتيها من شتى الإمبراطورية فكن يمتلكن ثروة طائلة، وكن ينفقنها على الأوقاف المختلفة التي أقمنها في إستانبول والحرمين الشريفين والقدس، مثل السلطانة نوربانو والسلطانة صفية، إلا أن السلطانة كوسم مهبيكر كانت من أشهر النساء العثمانيات في العمل الخيري هي والسلطانة خديجة تارخان حيث تركن عددا كبيرا من المؤسسات الخيرية، وأوقافا ينتفع بها الفقراء وطلبة العلم [٢].

ومع ذلك كان لها الكثير من أعمال الخير الدينية مثل: المسجد المسمى باسمها في القاهرة، وهو على غرار الجوامع العثمانية في استانبول. وأوقفت عليه الكثير من الأوقاف الخيرية،يصرف منها رواتب العاملين بالمسجد من مؤذن وإمام وعمال نظافة وعمال الحديقة المحيطة بالمسجد، وكذلك لصيانة وترميم المسجد كلما

استدعى الأمر، كذلك أوقفت مصحف شريف مجدول ومحلى بالذهب، مكتوب علية أنة وقف المرحومة صفية أم السلطان محمد خان.

في الجزيرة العربية:

لا شك أن إهمال أثر المرأة في حياتنا بصفة عامة يعد تجاهلا لحياتنا كلها، ولواقعنا الذي نعيشه. ولعلي لا أغرب في القول عندما أذكر أن من أسس دعوة الشيخ محمد - رحمه الله - إنصاف المرأة، والدفاع عن حقوقها.

فقد كان بعض الناس في عهده يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلا وصفه الشيخ في إحدى رسائله [1]: (إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه، وفر من قسمة الله، مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل، ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض، أو يريد أن يحرم نسل البنات... إلى أن قال: ويفتي له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب إلى الله، ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله). ووصف الشيخ هذا (بالإثم)على فاعله وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه في رسالته المعروفة.

ولا أريد أن أتعرض لبحث موضوع ليس من صميم ما أردت تناوله من الناحية التاريخية.

إن في واقع تاريخنا أمثلة حية لمشاركة المرأة في جميع الأعمال النافعة من علم ودعوة، حتى في مجال مقارعة الأبطال، ومجالدة الأعداء والذي يدخل من ضمن الدور السياسي لها [2] من هذه الأمثلة:

فاطمة بنت محمد بن عبد الوهاب:

عندما نقف على سيرتها – رحمها الله تعالى – أجد فيها أنموذجاً حيّاً لتلميذة نجيبة تلقت العلم على يد والدها – رفع الله منزلته في الفردوس الأعلى. تلميذة تلقت العلم وتشربته حتى الارتواء; فكانت خير داعية للمبادئ والرسائل الإيمانية التي تعلمتها من والدها.

عندما نعود بذاكرتنا إلى واقع مجتمع الجزيرة العربية حين ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدا لوهاب ; فإننا سنجدها بيئة سادتها الصراعات بين القبائل ، وكان التقاتل بينهم يقوم لأدنى سبب. وكانت مظاهر الشركيات والبدع أمر سائد اعتاده الكثير من الناس آنذاك ، ولم يكن أمراً مستهجناً أو منكراً!

ولدت في بيت علم، فكانت نعم التلميذة العالمة العاملة، ولدت فاطمة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، واتجهت إلى طلب العلم مقتدية بوالدها الشيخ محمد بن عبدا لوهاب الذي غرس في أبنائه الحرص على التحصيل العلمي، فكان للبيئة التي عاشت فيها أثرها الواضح في نشأتها ، واكتسبت حصيلة علمية جيدة نشرتها بين الناس،فكانت تقوم بتدريس النساء والرجال، وإذا كان تدريسها للنساء متوقعاً ومعروفاً فإن تدريسها للرجال كذلك، نستدل عليه مما يروى أنها كانت تجلس لطلاب العلم وتجعل بينهم وبينها سترة أثناء التدريس . لقد هاجرت فاطمة بعد سقوط الدولة السعودية الأولى مثل بقية أفراد أسرتها من آل الشيخ فراراً بدينها :كانت فاطمة من بين هؤلاء حيث خرجت مع ابن أخيها علي ابن حسين.الذي هرب إلى عمان وقطر وأقام فيها، ويذكر حمد الجاسر : أن فاطمة انتقلت إلى عمان مع علي بن حسين بعد سقوط

الدرعية.(ولذلك سميت فاطمة بـ "صاحبة الهجرتين)، وفي عمان عملت فاطمة على نشر العقيدة السلفية بين العمانيين طوال فترة إقامتها هناك، وعندما استقرت أحوال نجد بتأسيس الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدا لله (١٢٤٠- ١٢٤٩ هـ/١٨٣٤-١٨٢٥م) عادت إلى الرياض مع ابن أخيها.

الغربة والآلام والحنين إلى أرض الأجداد ومهد الطفولة لم تمنع فاطمة بنت الشيخ محمد من طلب العلم، بل والتفرغ للدعوة إلى توحيد الله في دار هجرتها. فكانت بفضل الله، أحد عوامل انتشار الدعوة السلفية في عمان بسعيها واجتهادها . مثل ما كان والدها منار إحياء عقيدة ونهج محمد صلى الله عليه وسلم ،ولقد انطبعت شخصية فاطمة بقوة شخصية والدها و ثباتها على قول الحق والعمل به في موقف عقيدي رائع.

توفيت فاطمة في الرياض ، ودُفنت في مقبرة العود. - رحمها الله - [١].

غالية البقمية:

هي الأميرة غالية بنت عبدا لرحمن بن سلطان الغرابيط الرماثين البدارى البقمي، زوجة حمد بن عبدا لله بن محي، أنجبت غالية من حمد بن محي ولد اسمه (هندي) توفي قبل بلوغ سن الرشد ، وابنه اسمها (زمله) من مواليد ١٢١٤هـ ،وغالية تزوجت بعد حمد بن محي الشيخ بخيت بن جنيح أمير الهملة من الموركة [٢] عام1229 هـ ولم تنجب منه ،غالية دخلت التاريخ من أوسع أبوابة وكتب عنها أعدائها أكثر من ما كتب عنها أصدقائها فقالوا إنها وهابية وداعية كبيرة للإسلام وقالوا إنها ساحرة ، وكلمة وهابية نسبة إلى للدعوة الإسلامية

الكبيرة التي قام بها الشيخ محمد بن عبدا لوهاب بالتعاون مع الإمام محمد بن سعود ، وغالية مسلمة مؤمنة بالله غيورة على الدين والوطن والمواطنين ،أما كلمة ساحرة فالسبب في ذلك يعود إلى أنه بعد سقوط الحجاز في يد الترك أرسل إليها عثمان المضايفي أمير الطائف [٣] من قبل ابن سعود اثنين خيالة على فرسين يخبرونها بأن الترك قادمين إلى تربة في طريقهم إلى الدرعية ، فجمعت غالية الجند في تربة وقالت سوف يقدم علينا عدو، وبعد أسبوع من المرابطة بتربة تفرق القوم ولم يأتيهم عدو وهي لم تخبرهم بالفارسين القادمين من الطائف للإنذار، فأمرت غالية (منادي الحرب) ويقال له (المزغرد) في لهجة أهل البادية، فصاح في القوم وردد القصائد الحماسية المؤثرة في نفوس الناس فعادوا ، وأمرت غالية بصرف السلاح والذخيرة للمحاربين، وعند اليوم الثاني شاهد أهل تربة لأول مرة الجيش النظامي الذي تمشي طوابيره على الموسيقى ، فدارت المعركة الأولى عام ١٢٢٨هـ [١] ، ورأى المحاربين ثلاث من النساء يبيعن الماء على العدو بسعر القربة الواحدة عشرة دنانير فأطلق البقوم النار على النساء وقتلوهن ومنعوا الترك عن الماء من الغريف إلى تربة .

وقامت غالية بعمل بركة كبيرة أمام مزرعة ابن ملوح بين قصور بني محي والحارة الطين شمال تربة يصب بالبركة المذكورة اثنا عشر بئر وعند الصباح رأى العدو الماء في البركة ويفيض الزائد مع الحزم فتهافتوا الجنود المحاربين على الماء من شدة العطش وقتلوا المسلمين منهم عدد كبير جداً، وفي الليل وضع الأعداء في البركة أربعين كيس من البارود وفى الصباح شاهد المسلمين الأكياس الممتلئة بالذخيرة

وفرحوا بها وهي خدعة للمسلمين (ملغومة) وعندما وضعها المسلمين في بنادقهم تفجرت وأكلت منهم عدد كبير ٠وفي المعركة الثالثة من معارك الترك عام ١٢٢٩ه [٢] ـ سجنت غالية سبعة فرسان مشهورين بالشجاعة حتى تعب الطرفين وفكت غالية الفرسان السبعة على المعركة فانهزم العدو وكانت غنائم البقوم خمسة مدافع وعشرين امرأة تركية وكثيراً من الذهب والفضة حيث كان الأتراك يربطون النقود تحت كم البدلة على العضد ٠وأرسل الإمام عبدا لله بن سعود حاكم الدرعية غصّاب العتيبي قائد الفرسان للمشاركة في تربةعلى رأس عشرين فارسا. [3] ولم تمكنه غالية من أي عمل وأسكنته مابين اللبط بالعلاوة وبين النغير في مكان يقال له(رجع غصاب) لمدة تسعة أشهر ، وأرسلت غالية للإمام عبدا لله بالدرعية رسالة تقول فيها أن محمد علي باشا والي الدولة العثمانية على مصر قادم إلينا على رأس مائة ألف مقاتل ولا طاقة لنا به ٠ومحمد علي باشا والد أحمد طوسون الذي انهزم في تربة مرتين .

فأرسل عبدا لله بن سعود شقيقه فيصل بن سعود الكبير على رأس محاربين يبلغ عددهم مع أهل تربة عشرين ألف مقاتل ومن الجنوب وتهامة عشرين ألف مقاتل وانطلق من تربة إلى بسل أربعين ألف مقاتل ، وتمت هزيمة المسلمين في بسل عام ١٢٣٠هـ [١] ، وغادرت غالية تربة إلى الدرعية بعد المعركة على ٢٨ جمل محملة بالزاد والذهب والفضة مع خدمها ٠وقد قال محمد علي باشا عندما مر بتربة في طريق إلى رنيه وبيشة وأبها : (أمست دار غالية خالية)0 وحاولت غالية

تزويج ابنتها زملة من شريف مكة ومنعها البقوم من ذلك وحاولت المغادرة بها إلى الدرعية ومنعوها أيضاً من ذلك .

فغالية البقمية [٢] كان لشجاعتها وقيادتها الأثر العظيم في مؤازرة أنصار الدعوة حتى انهزم جيش طوسون بن محمد علي باشا في وقعة تربة سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٣ م)، ثم تصدت مع المجاهدين لحرب جيش محمد علي حين غزا تربة؛ ليثأر لهزيمة ابنه بشجاعة نادرة. أثارت حفيظة الباشا الذي تمنى أن يقدر على إمساكها بعد انهزام جيشها وذهابها إلى الدرعية سنة ١٢٣٠هـ بعد هزيمة وقعة بسل، وقال عنها المؤرخ المصري محمود فهمي المهندس في كتاب "البحر الزاخر" [٣] : وتكدر محمد علي باشا كثيرا من هرب غالية ونجاتها من يده؛ لأنه في اشتياق زائد لإرسالها إلى القسطنطينية، علامة على نصره.وغالية معروفة بالشجاعة والرأي الحازم والذكاء الخارق حيث منعت إقامة السد الترابي في مضيق الذراعين شرق القويعية والنغير خوفاً على تربة من ارتداد الماء ، وبقايا السد الترابي موجودة الآن تمتد من الجنوب إلى الشمال.

ومع شهرة تلك المجاهدة الشجاعة، لم يرد لها ذكر في أهم المصادر التي بين أيدينا عن تاريخ الدعوة.ولا يعرف شيئاً عن تاريخ ميلاد ها ولا تاريخ وفاتها كذلك .

أما السبب في شهرة غالية فانه بعد وفاة الأمير/حمد ابن عبدا لله ابن محي زوج الاميره غالية ،وكان أبناء البادية في ذلك الوقت يتباركون بشيخهم وبوجوده معهم في مغازيهم فإن لم يرافقهم غزو بشداده ، ولذلك اضطرت غالية إلى إخفاء وفات الأمير عن الجميع بالاتفاق مع

هندي ابن محي و الشيخ/ أرشيد ابن جرشان الفارس المعروف والذي كان له مكانة كبيرة -في ذلك الوقت شبه بعض الباحثين هذه الطريقة بما فعلته شجرة الدر-حيث أن الجميع تفاجأ بإرسال عثمان المضايفي في عهد الدولة السعودية الأولى اثنين من الفرسان يخبرون البقوم بأن الترك قادمين إلى تربه في طريقهم إلى الدرعية، فاجتمع البقوم كما جرت عادتهم في قصر الأمير/ حمد ابن محي وعقدوا رأيهم على الطريقة التي سيواجهون بها أعداؤهم، وكانت غالية كما هي كبيرات السن من نساء البقوم - إضافة إلى أنها زوجة الأمير-تستمع إليهم وتبدي بعض أرائها في ما يخص قبيلتها ولديها جميع مفاتيح قصور ابن محي المملوءة بالسلاح وبالتمور ولديها أعداد كبيرة من العبيد والخيل وبعد أسبوع من المرابطة تفرق القوم ولم يأتيهم عدوا إلا أن شيخان البقوم أرسلوا فارسين للوجهة التي يتوقع قدوم العدو منها فعاد الفارسين بعد ذلك منذرين مما رأوه فقد رأو جيشاً جراراً كبيراً تمشي طوابيره على الموسيقى وتجر معه العجل بالمدافع فصاح مبيش الحرب في البقوم وردد القصائد الحماسية فاجتمعت البقوم مرة أخرى وقد تسلل بعض استخبارات الترك فرأوا الأميرة / غالية وهي توجه عبيدها وتوزع السلاح والتمور على رجال البقوم وتشجعهم فاعتقدوا بأنها رئيسة البقوم وان لديها الحل والعقد إلا أن الجواسيس وبحكم خوفها لم تقترب لترى زعماء البقوم مجتمعين في مجلس ابن محي ، فعادوا ليخبروا قائد الجيش مصطفى بك بان غالية هي أميرة القوم ،والبقوم يعلمون بوجود هندي ابن محي ذلك الوقت وابن غنام وبخيت ابن جنيح ومشحن السكني وسفر الخيال ورشيد ابن جرشان والذي ذكرت كتب

التاريخ قيادته جيش البقوم في معركة بسل التاريخية وجميع مشايخ البقوم الآخرين وأعيانهم وفرسانهم قال المؤرخ المصري الجبرتي في تاريخه لأحداث شهر جمادى الأولى من عام ١٢٢٩هـ: (وان طوسون باشا وعابدين ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التي بها المرأة التي يقال لها غالية فوقعت بينهم حروب ثمانية أيام ثم رجعوا منهزمين ولم يظفروا بطائل).قلت هذه امرأة حجازية تدعى غالية البقميه ، من قبيلة البقوم الأزدية التي تقطن تربة وأوديتها المجاورة لبادية غامد ، وقد كان زوجها كبير تلك الناحية في ذلك الزمن ، إلا أنها تولت قيادة ربعها في ظرف عصيب تمثل في وفاة زوجها من ناحية ، وفي اجتياح المصريين للجزيرة العربية من ناحية أخرى. وكما أفاد الجبرتي فقد استمرت الحرب ثمانية أيام ،انتهت بهزيمة طوسون ابن محمد علي باشا حاكم مصر آنذاك.

موضي بنت وهطان:

أول امرأة تحدث مؤرخو نجد عن مناصرتها لدعوة الشيخ هي موضي بنت بن وهطان، زوجة الأمير محمد بن سعود.

وهي من أسرة كريمة من آل كثير، ولا تزال فروع تلك الأسرة معروفة في بلاد نجد، وهي من آل فضل الذين كانوا يسيطرون على الجزيرة من بلاد الشام حتى جنوب الجزيرة خلال القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر.

وعندما سار الإمام تركي لغزو قبائل العجمان وآل مرة سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف تزوج في الإحساء ابنة هادي بن مذود رئيس

عربان آل كثير، وأتى بها معه إلى الرياض، وكان أبوها قد قتل سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف[١].

ونرجع للحديث عن تلك السيدة الجليلة موضي. حين انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعية سنة ١١٥٧هـ كارها مكرها {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } [٢] وكانت الدعوة قد وجدت في هذه البلدة تربة خصبة، فنبتت ونمت، فحل الشيخ ضيفا على أحد تلامذته حتى استقبله محمد بن سعود على نحو أوجز، وصفه ابن غنام بقوله [٣]: (فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود قام من فوره ومعه أخواه ثنيان ومشاري، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده).

ولكن ابن بشر فصله على هذا النحو [٤] : (فعلم به خصائص من أهل الدرعية، فزاروه خفية، فقرر لهم التوحيد، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود، ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه، وأتوا إلى زوجته وأخيه ثنيان الضرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة، فأخبروهما بمكان الشيخ، وصفة ما يأمر به وينهى عنه، فلما دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ، وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاغتنم ما خصك الله به، فقبل قولها، ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري، وأشارا عليه بمساعدته ونصرته)[٥].

الجوهرة آل معمر:

كان الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عندما قام بدعوته في بلده حريملاء قد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره، ولم يذكر

مؤرخو حياته أنه تزوج إلا بعد أن انتقل إلى بلدة العيينة، بعد وفاة والده الشيخ عبد الوهاب سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف.

قال ابن بشر: (فانتقل الشيخ إلى العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر، فتلقاه بالقبول، وأكرمه، وتزوج فيها الجوهرة بنت عبد الله بن معمر).

ويظهر أن هذا هو أول زواج للشيخ؛ لأنه قبل وفاة والده قد عاش متنقلا بين الحجاز والبصرة والأحساء، مشغولاً بطلب العلم، ولم يذكر مؤرخوه الموثوق بهم أنه تأهل قبل انتقاله إلى العيينة.

أما ما جاء في كتاب "لمع الشهاب" [1] ونصه: (وكان تحت محمد بن عبد الوهاب حينئذ ثلاث نسوة وابنان وابنتان) - أي قبل سفره لطلب العلم - فهو حديث خرافة، ككثير من الأخبار الواردة في ذلك الكتاب.

لقد كانت بلدة العيينة مسقط رأس الشيخ، ففيها ولد ونشأ، وهي مقر أسرته بعد انتقالها من بلدة أشيقر، وارتحال والد الشيخ منها كان بسبب وقوع خلاف بينه وبين أميرها الذي عزله عن القضاء، وولى شيخاً آخر من تلك الأسرة التي تربطها بأسرة آل معمر أواصر قوية غير آصرة النسب، فالأسرتان تميميتان.

وبلدة العيينة في ذلك العهد خير مكان لنشر الدعوة، فهي قاعدة بلاد نجد، وإمارتها أقوى إمارة وأشهرها في تلك البلاد.

أما هذه السيدة الجليلة التي تزوجها الشيخ، الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، فهي عمة الأمير عثمان الذي استقبل الشيخ أحسن استقبال، وابنة الأمير عبد الله بن محمد بن حمد بن معمر الذي وصفه ابن بشر بما هذا نصه [3](في سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف أوقع الله سبحانه

الوباء العظيم الذي حل بأهل بلدة العيينة أفنى غالبهم، مات فيه رئيسها عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الذي لم يذكر في زمانه ولا قبل زمنه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث، فسبحان من لا يزول ملكه) انتهى.

وللجوهرة – في سبيل نشر الدعوة – يدان كريمتان:

اليد الأولى: أنها قبل زواج الشيخ بها كانت سبباً في إنقاذ حياة محمد بن سعود بن محمد بن مقرن الذي قام بنصرة الشيخ ومؤازرته في نشر الدعوة، وسار أبناؤه وأحفاده من ملوك آل سعود على نهجه حتى حقق الله لتلك الدعوة الظهور والانتشار في جميع أنحاء العالم.

قال ابن بشر [1]– في ذكر حوادث سنة تسع وثلاثين ومائة–: (وفي هذه السنة غدر محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الملقب خرفاش صاحب العيينة بزيد بن مرخان صاحب الدرعية، وبدغيم بن فايز الكادحي السبيعي وقتلهما. وذلك أنه لما أصاب بلدة العيينة الوباء المشهور وأفني رجالها ومات رئيسها عبد الله بن معمر، طمع زيد بن مرخان وأتباعه في أموالها، وأرادوا نهبها، فساروا إليها بآل كثير وبوادي سبيع وغيرهم، فلما وصل الجميع عقرباء أرسل خرفاش إلى زيد، وقال له: إنه ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم لنا، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إلي.. فسار زيد إليه في أربعين رجلاً، ومعهم محمد بن سعود وغيره، فأدخلهم قصره، ثم أدخل رجالا من قومه في مكان، وواعدهم إذا جلس زيد يرمونه بالبنادق، فرموه ببندقين فلم يخطئانه فمات. فتنبه محمد بن سعود ومن معه، ودخلوا في موضع وتحصنوا فيه، فلم ينزلوا إلا بأمان الجوهرة بنت عبد الله بن معمر.

ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية، فاستقل محمد بعد هذه بولاية الدرعية كلها، ومعها غصيبة) [٢] انتهى كلام ابن بشر .

واليد الأخرى للجوهرة تقوية الصلة بين زوجها الإمام محمد، وبين ابن أخيها الأمير عثمان، وحقاً ما قال الدكتور عبد الله الصالح العثيمين [١] وحين وصل محمد بن عبد الوهاب - إلى العيينة رحب به أميرها وأكرمه - إلى أن قال -: وازدادت علاقة الاثنين توطدا بزواج الشيخ من الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، ويبدو أن زواجه منها لم يكن لشهرة أسرتها فقط، وإنما لسمعتها الاجتماعية الخاصة أيضاً) .

ولا داعي للاسترسال في ذكر الآثار الطيبة التي عادت على الدعوة الإصلاحية من جراء تلك المصاهرة، غير أن المناسبة تلجئ إلى الإشارة إلى خاتمة ذلك الصهر، وهي خاتمة محزنة حقا، لم تقف عند حد قتله، بل تجاوزت ذلك إلى الطعن في عقيدته، وانجرت إلى ابنه من بعده.

حقا إن الرجل ندم على ما قدم، و{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ} البقرة آية (١٣٤).

نورة بنت عبد الرحمن آل سعود:

ولدت في مدينة الرياض عام ١٢٩٢هـ ، ارتبطت بأخيها عبد العزيز منذ الصغر ،فكانت عاملا مهما في شحذ همة أخيها في السعي نحو استعادة ملك أبائه،فأخذت تقوي عزيمته المرة تلو الأخرى، حتى تم له ماأراد واستعاد الرياض فكانت أكبر عامل أثر في حياة الملك سياسيا واجتماعيا[١] من ذلك : أنها ساهمت بزواجها من ابن عمها سعود بن عبد العزيز الملقب بـ (سعود الكبير) -وكان على خلاف كبير مع أخيها- أسهمت في المصالحة بين أبناء العمومة وتآزرهم

سياسيا،علاوة على ذلك قربت قبيلة العجمان وهي من أكبر القبائل وأشرسها من أخيها وانضمت هذه القبيلة إلى عبد العزيز،خاصة أن هذه القبيلة تقدر نورة وتحترمها لأن والدة زوجها منها أولا، وللصفات التي تتحلى بها نورة ثانيا، وهذا كله بفضل حكمتها ورجاحة عقلها ،لذلك فالملك عبد العزيز كان يعتمد عليها اعتمادا كبيرا ويستشيرها في كل صغيرة وكبيرة، فكانت تحتل المكانة الأولى في بلدها وفي القصر بين النساء [1]حيث مارست بينهن سلطتها الاجتماعية التي كانت من ضمن واجباتها الأساسية، أو التي كلفها بها أخيها الملك مثل:الإشراف الكامل على القصر وحل كل مشاكله دون الرجوع لأخيها الملك إلا فيما ندر،كذلك العناية والاهتمام بالنساء اللاتي لهن صلاة بالمشايخ أو الأمراء في المناطق المجاورة والتي لهم علاقات سياسية مع أخيها [2]، أيضا كانت تستقبل الزائرات الأجنبيات فتكرمهم وتقدم لهن الرعاية المناسبة علاوة على تحديد برنامج متكامل لهن للزيارات والخروج لرؤية المدينة.

كل ذلك وأكثر كانت تقوم به، وبذلك لفتت الانتباه إلى شخصيتها التي كانت تتمتع بالحكمة ورجاحة العقل والورع والدين والكرم،فأتاح لها ذلك أن تقوم بدور مؤثر في كثير من جوانب حياة الملك[3]. توفيت رحمها الله وهي تبلغ من العمر حوالي ٧٧سنة وذلك في عام ١٣٦٩هـ ودفنت في مقابر العود.

نماذج لدور النساء السياسي خارج الجزيرة العربية:

أ-في المشرق العربي:

وضح دور المرأة السياسي في هذه المناطق من خلال مشاركتها المستمرة في الكفاح والنضال ضد المستعمر،ولتعدد الأماكن وطول الفترة الزمنية فسوف اقتصر في الحديث هنا وبشكل موجز عن دور المرأة الفلسطينية التي تمثل كل نساء المشرق وذلك لأن دورها مازال مستمرا إلى اليوم.

فالمرأة الفلسطينية شاركت بفاعلية في النضال الوطني عبر التاريخ الفلسطيني ، ففي العام ١٩٢١ م شكلت أول إتحاد نسائي فلسطيني أسسته أميليا السكاكيني وزليخة الشهابي هدفه مناهضة الانتداب البريطاني والوقوف في وجه الاستيطان الصهيوني، و في فترة لاحقة تم تشكيل لجنة السيدات العربيات عقب مؤتمر عام عقد في القدس في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٩ وحضرته ٣٠٠ سيدة عربية. وفي العام ١٩٤٨ شكل عدد من النسوة في يافا فرقة نسائية سرية للتحريض وتزويد الثوار بالأسلحة والتموين باسم "زهرة الأقحوان" ، وفي نفس الفترة شكلت جمعية " التضامن النسائي للقيام بأعمال التمريض والإسعاف. ولا شك بأن المرأة الفلسطينية قد تأثرت بنكبة العام ١٩٤٨ وتفتيت البنية الاقتصادية والاجتماعية واقتلاع الآلاف من الفلسطينيين من بيوتهم ، وعاشت هول النكبة وعمق المأساة، الأمر الذي عزز لديها الشعور بالانتماء للوطن كأي رجل ، مما دفع لتطور مستوى مشاركتها في العمل السياسي والكفاحي. وبعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ حدث تطور نوعي آخر على دور المرأة الفلسطينية

في انخراطها بالثورة ومشاركتها في الأنشطة المختلفة قياساً بدورها في العقود السابقة ، فساهمت في النضالات السياسية وانخرطت في منظمات المقاومة المختلفة، و شكلت بعد ذلك العديد من الاتحادات الخاصة بها بهدف توحيد طاقاتها وجهودها وتطوير عملها وأنشطتها بما يخدم أهدافها ومنها :

- ❖ اتحاد لجان العمل النسائي الذي تأسس في رام الله عام ١٩٧٨، تحت شعار " نحو حركة نسائية جماهيرية موحدة.
- ❖ اتحاد لجان المرأة العاملة، وتأسس في عام ١٩٧٨م كمنظمة نسائية ديمقراطية، تهدف إلى تحرير المرأة الفلسطينية، سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً.
- ❖ اتحاد لجان المرأة للعمل الاجتماعي وتأسس عام ١٩٨١، وهدف إلى الالتزام بقضايا تحرير المرأة، والنضال من أجل حصولها على حقوقها كاملة ومساواتها التامة بالرجل مع ضمان حقها في الأمومة.
- ❖ لجان المرأة الفلسطينية و تأسست في بيت لحم عام ١٩٨١، ولها فروع رئيسة في الضفة والقطاع.

فانخرطت المرأة في النضال داخل فلسطين وخارجها، وخاضت ببسالة معارك الدفاع عن الثورة الفلسطينية في مواقع وساحات جغرافية ونضالية مختلفة ، وانضوت تحت لواء منظمات المقاومة الفلسطينية.

فظهرت في عدة صور ، فهي الأم التي حثت أبنائها وبناتها على التعليم والعمل والإنتاج ، وحثتهم على النضال والاستشهاد أيضاً ، وهي المعلمة التي علمت أجيال، والعاملة الكادحة التي أنتجت ، والمنظمة التى قادت خلايا تنظيمية ونقلت الرسائل وسهلت اختفاء المناضلين، و

هي المرأة المحرضة والداعية السياسية النشطة والقائدة الجماهيرية ، و المقاتلة ضد الاحتلال من أجل الحرية والاستقلال ، فشاركت بالقلم والحجارة ، وشاركت في عمليات عجز عنها العديد من الرجال كعمليات خطف الباصات والطائرات والعمليات الاستشهادية ، كما و لعبت المرأة الفلسطينية دوراً محورياً في حماية التقاليد والتراث الوطني وغرس احترام القيم الوطنية. وقدمت المرأة الفلسطينية الأم المثالية والمناضلة المميزة والقائدة الفذة ، قدمت الشهيدة الخالدة والأسيرة الصامدة والمبعدة الحالمة بالعودة ،والمحررة الصابرة التي أمضت شهور و سنوات طويلة وراء القضبان.

وكانت شادية أبو غزالة أول شهيدة فلسطينية استشهدت أثناء إعدادها قنبلة متفجرة في تشرين ثاني ١٩٦٨، كما كانت فاطمة برناوي أول مناضلة فلسطينية يتم اعتقالها في تشرين ثاني ١٩٦٧ بعد وضعها قنبلة في سينما صهيون في مدينة القدس، وحكم عليها بالسجن مدى الحياة. لقد تعرضت النساء الفلسطينيات -كما الرجال الفلسطينيون- إلى الاعتقال وزج بالآلاف منهن في غياهب السجون على مدار سني الاحتلال ، ليتعرضن لأبشع أنواع التنكيل و التعذيب أثناء الاعتقال ، فمنذ لحظة اعتقالها على يد الجنود الذكور تتعرض للاستفزازات مع عدم وجود مجندات ، ويتعرضن للضرب والشبح والضغط النفسي والتفتيش العاري والتهديد بالاغتصاب بل بعضهن اغتصبن فعلاً ، والعزل الانفرادي ، والاعتداء من قبل السجيناث الجنائيات الإسرائيليات اللواتي تعمد الإدارة إلى وضعهن في نفس أقسام الأسيرات الفلسطينيات، والمعاملة الاستفزازية القاسية واللاإنسانية ... وازدادت

معاناتهن أسوة ببقية الأسرى خلال انتفاضة الأقصى حيث استغلت إدارة السجون عددهن القليل وقامت بالاستفراد بهن وزجهن في زنازين انفرادية وحرمانهن من أبسط متطلبات الحياة الإنسانية.

وفي وصف أقبية التحقيق والزنازين التي توضع بها الأسيرات قالت إحداهن " أن الزنزانة التي وضعوني بها لونها رمادي غامق وخشنة الملمس وتفيض بها المجاري التي لا تطاق، أما الفرشات والبطانيات فهي وسخة وقذرة ومليئة بالبق والحشرات، والضوء فيها باهت جدا مزعج للنظر، ويوجد مكيف هواء أحيانا يتم إغلاقه مما يسبب ضيقاً في التنفس، ولا يوجد شبابيك فيها، وفي بعض الأحيان يحضر السجانون الذكور، ويفتحون باب الزنزانة بشكل مفاجئ ما يسبب خوفا وإهانة أخلاقية للأسيرة."

وبالرغم من ذلك أثبتت الأسيرة الفلسطينية كما المرأة الفلسطينية عامة أنها عصية على كل مؤامرات الاحتلال في الحط من عزيمتها ، فخاضت منذ بداية تجربة الاعتقال العديد من النضالات والخطوات الاحتجاجية في سبيل تحسين شروط حياتهن المعيشية وللتصدي لسياسات القمع والبطش التي تعرضن لها ، وقد شاركت جنباً إلى جنب مع الأسرى بالعديد من الإضرابات المفتوحة عن الطعام استمر بعضها إلى أسابيع وشهور ، واستطاعت الأسيرات بفعل نضالا تهن وصمودهن تحقيق العديد من المنجزات وبناء المؤسسة الاعتقالية باستقلالية داخل السج.

وفي سجل تاريخ الحركة النسوية الأسيرة موقفا أسطوريا عجز الرجال عنها كما حصل عام ١٩٩٦ عندما رفضن الأسيرات الإفراج المجزوء عنهن على أثر اتفاق طابا وطالبن بالإفراج الجماعي ودون ذلك فضلن

البقاء في السجن واستطعن أن يفرضن موقفهن في النهاية ليتم الإفراج عن جميع الأسيرات في بداية عام ١٩٩٧.

وخلال انتفاضة الأقصى صَّعدت قوات الاحتلال من حملات الاعتقال ضد النساء والفتيات نظراً لدورهم المتصاعد ، فاعتقلت خلال الانتفاضة أكثر من ٣٠٠ أسيرة بقى منهن لحتى الآن ١٢٨ أسيرة جميعهن اعتقلن خلال الانتفاضة (أسيرتان فقط من قطاع غزة) ، وموزعين على سجني التلموند (٩٤ أسيرة)، والرملة (٣٤ اسيرة) ، ومنهن (١١ أسيرة قاصرات وأقل من ١٨ عاماً). أما عن طبيعة الاعتقال فيوجد ٤٣ أسيرة محكومة ، و ٧٤ أسيرة موقوفة ، و ١١ أسيرة موقوفة إداري.

كل هذه الصور النضالية تؤكد كم هي المرأة الفلسطينية طاقة نضالية ، والتاريخ أثبت أنه عندما تتاح لها الفرصة لا تتوانى ولا تتقاعس عن تأدية واجبها الوطني والاجتماعي والإنساني. [1]

ب- في الشمال الإفريقي:

ساهمت المرأة عموما في الشمال الأفريقي بشكل واضح في الأمور السياسية من خلال فترات الحروب والاحتلال التي مرت بها تلك الدول، وتأسيسا على ما سبق سوف اقتصر في الحديث عن دور المرأة المصرية والليبية والجزائرية. فالمرأة المصرية شاركت في المجال السياسي من خلال مشاركتها بإيجابية في المقاومة الشعبية ضد الاحتلال التي حمل لوائها الرجال والنساء.

- فسجلت سنة ١٨٠١ مشاركة المرأة في حركة احتجاج شعبي ضد السياسة المالية للعثمانيين، وضد تعسف الباشاوات الأتراك وقد أرغمت تلك الحركة الوزير التركي علي الاستجابة لمطالب المصريين مؤقتاً.

- وفي سنة ١٨٠٥ شاركت نساء حي مصر القديمة في مظاهرة شعبية توجهت إلي الجامع الأزهر للاحتجاج علي اعتداءات الجنود المستمرة علي الأهالي وكانت هذه المظاهرة بداية الثورة الشعبية التي قادها عمر مكرم وانتهت بتولي (محمد على) باشاوية مصر بدلاً من خورشيد باشاً.

- ومع تعرض أمن البلاد لخطر الغزو الخارجي من حملة فريزر وقفت المرأة جنباً إلي جنب مع الرجل في التصدي لهذه الحملة حتى تم هزيمتها في مارس ١٨٠٧ .

- وتزامن مع أول ثورة ديمقراطية عرفتها البلاد وهى ثورة عرابي ظهور الجماعات الثورية السرية ، وشاركت المرأة في توزيع بياناتها السرية ضد طغيان حكومة رياض باشا .

- كما شاركت المرأة في مقاومة المعتدى الأجنبي وفي مقاومة فساد الحكم في الداخل، شاركت أيضا في الإيجابيات على أرض مصر ففي يوم ١٩١٤/١/٢٢ خرجت مظاهرة نسائية للهتاف بالدستور والحياة النيابية الصحيحة يوم افتتاح الجمعية التشريعية للحزب الوطني.

- ومع وجود قوات الاحتلال البريطاني على الأراضي المصرية شاركت المرأة في مقاومة الاحتلال بأساليب متنوعة بين :

١. حمل السلاح ومشاركة الرجال في الدفاع عن المدن المصرية.

٢. وبين المشاركة في المظاهرات السلمية للاحتجاج علي العدوان وانتهاك حقوق وحريات الشعب المصري: حيث خرجت المرأة في أكبر مظاهرة نسائية يوم ٩ مارس ١٩١٩ احتجاجا علي نفي زعماء الأمة والتنكيل بالمظاهرات السلمية ، وسلمن خطاب احتجاج لمعتمدي الدول

الأجنبية بمصر سجلن فيه احتجاجهن علي الأعمال الوحشية التي لحقت بمصر بسبب المطالبة بحرية البلاد واستقلالها تطبيقاً لمبادئ ويلسن وطالبن بتأييد حق مصر في الحرية والسلام وكانت السيدة (حميدة خليل) هي أول شهيدة ينشر اسمها ضمن شهداء الثورة : وفي ٢٠ مارس خرجت مظاهرة نسائية ثانية احتجاجاً على سفك دماء الأبرياء وللمطالبة بالاستقلال التام وسقطت في هذه المظاهرة أيضا مجموعة من الشهيدات.

٣. وشكلت المصريات لجان نسائية لتنظيم أطر مشاركة المرأة في النضال الوطني وبدأت لجنة (سيدات الوفد) برئاسة (شريفة هانم رياض) ترفع شعار المقاطعة كسلاح للمقاومة فقاطعن لجنة ملنر ١٩٢١ ، ثم قاطعن البضائع الانجليزية وكانت هذه المقاطعة أحد الدوافع الأساسية التي أدت إلي إنشاء بنك مصر، وقامت هذه اللجنة أيضا بأعمال التمريض لجرحى ثورة ١٩١٩.

- وجسدت (لجنة سيدات الوفد) نموذجاً رائعاً للوحدة الوطنية فقد ضمت اللجنة في عضويتها المصرية المسلمة والمصرية المسيحية كما تم انتخاب عضوات اللجنة في مؤتمر نسائي عقد في الكنيسة المرقسية ومنهن مصريات شاركن في ثورة ١٩١٩ علي سبيل المثال (استر فهمي ويصا) .

وفي سنة ١٩٢٣ سافر وفد الاتحاد النسائي المصري إلي روما للمشاركة في المؤتمر النسائي العالمي وضم الوفد المصريات المسلمات والمسيحيات فقد مثل مصر هدى شعراوي وسيزا نبراوى وريجيناط الخياط وغيرهن .

وحظي الوفد باحترام المشاركين والمشاركات في المؤتمر وشجع الهيئات الدولية على التعامل بجدية في قضايا المرأة العربية.

- وفي سنة ١٩٣٥ وأثر نشوب الحرب في الحبشة وصدور تصريح صمويل هور الذي رفضت فيه انجلترا عودة دستوري ١٩٢٣ ، ١٩٣٠ كقاعدة لتنظيم العلاقات بين مصر وانجلترا في حالة نشوب الحرب عند منابع النيل خرجت ثاني أكبر مظاهرة اشتركت فيها المرأة المصرية مع الرجل وقد أسفرت هذه المظاهرة العارمة عن توقيع معاهدة ١٩٣٦.

- وبعد الحرب العالمية الثانية وظهور فكرة (الأمن الإقليمي) والتي بمقتضاها ترتبط مجموعة من الدول الصغيرة المتجاورة مع أي من القوي الاستعمارية العالمية ارتباطاً عسكرياً.

اجتاحت مصر موجة من الرفض الشعبي لمبدأ التحالف ولفكرة إنشاء لجنة الدفاع المشترك مع بريطانيا وعمت المظاهرات العنيفة البلاد وأعرب فيها المتظاهرون رجالاً ونساءً عن رفضهم لهذه المعاهدة التي لم تر النور بفضل كفاح الشعب رجاله ونسائه.

- وبعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ من جانب مصر وإصرار إنجلترا علي سريان المعاهدة وبقاء قواتها في القناة تعددت المعارك في منطقة القنال وسقط فيها الكثير من أبناء مصر شهداء رجالاً ونساءً وفي ١٤ نوفمبر نظمت الحركة النسائية المتمثلة في الاتحادات والأحزاب النسائية مظاهرة احتجاج كبرى .

- كما دعت لجنة (المقاومة الشعبية) برئاسة (سيزا نبراوى) لإعداد كل ما يلزم الفدائيين في منطقة القنال .

- واشتركت الطالبات والسيدات في الأحياء الشعبية في مظاهرة شعبية كان شعارها (الصمت _ الحداد – النظام)

- وفي أثناء العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ أظهرت المرأة المصرية بطولات في تهريب السلاح وإخفاء الفدائيين ومقاومة المعتدين وتطوعت آلاف من المصريات في مراكز التمريض لرعاية الجرحى .

- وشكلت مجموعة من المصريات أول لجنة نسائية للمقاومة الشعبية تعاون وتساند الفدائيين في كفاحهم المسلح وسقطت عدة شهيدات أثناء المقاومة.

- وشاركت المرأة في حرب أكتوبر ١٩٧٣ من خلال مقار التنظيم النسائي والجمعيات النسائية الأهلية في خدمة أسر الشهداء والجرحى وفي بث الحملات الإعلامية للتطوع في التمريض والتبرع بالدم وفي تدعيم الجبهة الداخلية.

كما تكونت (لجنة صديقات القلم) لترجمة كل ما يكتب عن القضية المصرية وإرساله لمختلف الاتحادات والمنظمات النسائية في العالم لإعلام المرأة في العالم بحقيقة ما يدور في الشرق الأوسط .فقد لاحظت النساء المصريات بعد انتهاء مشاركتهن الفعالة في النضال بأشكاله المختلفة ضد المحتل الانجليزي وطرده من مصر أن محاولتهن للانخراط والمشاركة في الشأن العام لم تلق ترحيبا يذكر. ودفعهن الحماس الناتج عن نضالهن إبان الاحتلال البريطاني إلى رفع سلاح القلم. وتشير الباحثة إلى أن الناشطات المصريات في فترة ما قبل عام ١٩٥٢ لجأن إلى الكتابة في الصحف المصرية, وأن تتبع كتاباتهن يظهر كيف

أصبحت النساء ينظرن إلى المشاركة السياسية -ممثلة في حق الانتخاب والترشيح- على أنها خطوة طبيعية ومنطقية في مسيرة مساهمتهن في إنهاء الاحتلال البريطاني ودعم التنمية الوطنية. وتستعرض الدراسة مسيرة المصريات بدءا من مرحلة إقصائهن وعدم توفر التعليم اللازم لهن مطلع القرن العشرين ولجوئهن إلى التفاوض أحيانا أو إلى اقتحام المجال العام خلال العقدين التاليين.

لقد تمكنت المصريات من تحقيق الانتقال من المجال الخاص إلى المجال العام من خلال الصحافة. ورغم تمحور معظم الكتابات النسائية المبكرة حول شؤون المنزل والأسرة, إلا أن هذه الكتابات وفرت المنصة اللازمة التي مكنت النساء من إسماع صوتهن وإيصاله إلى الأحزاب السياسية المصرية، كما طرحت النساء من فوق تلك المنصة قضاياهن ومطالبتهن بضرورة إشراك النساء في وضع القوانين التي تحكم وضعهن الاجتماعي والشخصي. وتمكنت المصريات أخيرا من نيل حق التصويت بعد ٥٠ عاما من النضال [١].

أما دور المرأة الليبية والجزائرية فقد كان يبدو أكثر وضوحا خلال فترة الاحتلال، من خلال مشاركتها في حركة المقاومة؛ ويبرز دورها في الصفوف الخلفية للمجاهدين حيث كانت تقوم بالاستطلاع، وتساهم في عملية إمداد المجاهدين بالتموين والمياه وتقديم العون للجرحى والمصابين ورفع الروح المعنوية للمقاتلين، وفي عملية الاتصال ونقل المراسلات بين المجاهدين، كما شاركت المرأة في نقل أخبار العدو ورصد حركاته وتحركاته [٢].

ولعل الدور الاستثنائي الذي قامت به المرأة الليبية خلال هذه المرحلة يبدو طبيعيا في مواجهة الخطر الخارجي المتمثل بمشاركتها في حرب التحرير الشعبية ضد الاحتلال الإيطالي، إلا أن هذا الدور سرعان ما تلاشي بعد انتهاء الحرب، وأصبح دورها محدودا جدا في مرحلة ما بعد التحرير. ويمكن القول هنا بأن ذلك شبيه بأوضاع المرأة في حركات التحرر الأخرى، وينتهي دورها بانتهاء فترة المقاومة، حيث تترك ترتيبات مرحلة إرساء قواعد الدولة الوطنية ومرحلة ما بعد التحرر، ففي هذا الإطار وصف أنور باشا (وهو أحد الضباط الأتراك الذين شاركوا في مرحلة المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي في برقة) في مذكراته دور رجال القبائل ومشاركة المرأة علي النحو التالي:

(كان لكل مجموعة تتكون من خمسة عشر مقاتلاً من قبيلة واحدة، خيمة واحدة ينامون فيها ويترأسهم عريف أو نائب عريف يعينه شيخ القبيلة. وكان يخصص لكل خيمة امرأة تقوم بخدمة الجنود وعمل ملابسهم وإعداد الطعام لهم أثناء راحتهم وحمل الماء والطعام اللازم للمقاتلين في ميدان المعركة، إلي جانب إثارة همم الرجال أثناء المعركة وتضميد جراح المصابين ورثاء الشهداء منهم وذكر محاسنهم. وقد كان في معسكري عين أبي منصور والظهر الحمر عدد من المجاهدات يتراوح ما بين ٤٥٠ إلي ٥٠٠ مجاهدة)[1].

ومع دخول الاحتلال الأجنبي لوطننا بداية القرن العشرين تبدأ المرأة العربية مرحلة جديد من الكفاح تطلبت منها المزيد من الجهد والتضحية

لتمارس دورها النضالي الذي واكب مسيرتها عبر عهود مرت على مجتمعنا، استشهد هنا بشخصية هامة هي جميلة بوحيرد وجميلة بوعزة وجميلة بوباش [1]المجاهدات الجزائريات وغيره كثير ممن لا نستطيع أن نسرد أسماءهن في هذه الأسطر القليلة.

ويثار اليوم جدلا كبيرا في جميع أنحاء العالم, خاصة منه العربي الإسلامي حول دور المرأة في المجتمع, فتعددت الرؤى واختلفت بين مغالي يرى أن دورها لا يجب أن يتعدى حدود البيت، وبين مغالي آخر يرى أن إقحامها في جميع مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ضرورة لا بد منها للنهوض بالمجتمع وتلبية حاجاته.

ومن وجهة النظر الأولى يرون أن من أسباب عدم مشاركة المرأة في السياسة في العصر الحديث يعود إلى:

1) أسباب راجعة للموروث الثقافي:

ترتبط الأسباب الراجعة للموروث الثقافي بطبيعة المجتمعات العربية وهي مجتمعات يطغى عليها النظام الأبوي الذي يقوم على سيطرة الرجال ودورهم الرئيسي وعلى احتكارهم للفضاءات العامة والمسؤوليات في مراكز أخذ القرار وعلى دونية النساء وعدم الاعتراف لهن بروح المبادرة وبإمكانية تولّي المناصب السياسية. يرتكز هذا النظام الأبوي على تقسيم جنسي للأدوار بحيث ينحصر دور النساء في الأعمال المنزلية والوظائف التقليدية النسائية بينما يتولى الرجال القيام بكلّ الوظائف الاجتماعية والسياسية بدون

استثناء[٢]. وتمثل المنظومة التربوية تكريسا لهذا النظام الأبوي عن طريق البرامج التعليميّة المعمول بها والقائمة على الفصل بين العام والخاص في إطاره التقليدي الذي ينتج صورا نمطية للنساء والرجال[٣]. ويتجسد هذا الفصل في إقصاء النساء وحتى تغييبهن من مراكز أخذ القرار سواء كان ذلك على مستوى الوظائف السياسية البحتة أو الوظائف السياسية القيادية الدينية مثل الإمامة أو الخلافة. ولتبرير هذا الفصل بين الفضاءات يعتمد بعض الفقهاء والسياسيين على الحديث النبوي الذي يعتبر أنّه «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»[١]. والاستناد على هذا الحديث ما هو إلاّ دليل على أنّ النظام الأبوي السائد يرتكز على العادات والتقاليد الدينية لتنظيم مكانة النساء في المجتمع بصفة عامة وفي المجتمع السياسي بصفة خاصة ولتكريس علاقات هرمية تنبني على أساس الجنس

٢) **الأسباب السياسية** :

فيتمثل في غياب التقاليد الديمقراطية في العديد من الدول العربية سواء كانت الأنظمة ملكية أو جمهورية وكذلك غياب التقاليد الديمقراطية وقلة اهتمام المواطنين والمواطنات بالشأن السياسي. بصفة عامة رغم الإقرار بالحقوق السياسية فإن ممارسة هذه الحقوق في معظم الدول العربية تتعرض إلى معوقات جوهرية راجعة إلى نظام الأحزاب السياسية في بعض الدول وإلى سيطرة

القبلية أو إلى نظام الطوائف في دول أخرى. بالنسبة إلى نظام الأحزاب السياسية، فرغم التعدّدية الحزبية المصرّح بها في معظم الدول، تبقى الحالة السائدة هي نظام الحزب المهيمن أو السائد ولا تشارك في الانتخابات إلاّ الأحزاب المعترف بها قانونيا وسياسيا باعتبارها أحزابا قريبة من الحزب الحاكم تقوم بمعارضة صورية وتخدم أكثر سياسة الحزب الحاكم عوض أن تنتصب كحزب منافس له. وفي هذا الوضع تكون الحالة السائدة هي قلة مشاركة المواطنات والمواطنين في العمل السياسي وعدم اهتمامهم. ونتيجة لهذا الوضع تنشأ فجوة بين المجتمع والطبقة الحاكمة بمختلف مكوناتها وفي أغلب الأحيان تحدث قطيعة بينهما[1].

أمّا بالنسبة إلى النظام القبلي أو العشائري، فهو نظام يؤسس بدرجة أولى على الانتماء إلى القبيلة أو العشيرة ويحكم حسب تقاليد قبلية خاصة. في هذا النظام يقدم المرشح أو يشارك في الانتخابات بوصفه ممثلا للقبيلة بالأساس وليس كفرد في المجتمع أي مواطن. وهذا ما يقع في اليمن حتى بعد التوحيد [2] إذ تطغى على المنافسات السياسية الانتماءات الضيقة إلى القبيلة قبل الشعور بالمواطنة. وفيما يتعلق بنظام الطوائف، فهو نظام يقوم على تمثيل الطوائف بدرجة أولى عوض أن يكون تمثيلا

للمواطنات والمواطنين. وهذا ما هو سائد في لبنان مثلا حيث يفضّل قانون الانتخاب على قياس زعماء الطوائف بدرجة أولى [٣]

٣) **السبب الخاص بالنساء :**

يرتبط هذا السبب بوعي النساء بدورهن ووضعهن الاجتماعي في معظم الدول العربية، إذ أنّ عدة معوقات تحول دون مشاركة النساء في العمل السياسي. ويمكن أن نذكر من بين هذه المعوقات عبء المسؤوليات العائلية التي تتحملها النساء دون الرجال وفقا للتوزيع الجنسي للأدوار. فتربية الأطفال والقيام بالشؤون المنزلية لا يتركن للنساء مجالا للاهتمام بما هو خارج العائلة. كما أن نظرة المجتمع للنساء اللواتي يتحملن مسؤوليات سياسية هي نظرة سلبية وغير مشجعة للاهتمام بالشأن السياسي، فالمجتمع يحمّل النساء السياسيات مسؤولية الأزمات العائلية أو الطلاق أو الأزمات الاجتماعية مثل تدهور الأخلاق، وتفاقم العنف والإجرام، وحتى في حالة الاعتراف بدورهن في المجال السياسي غالبا ما تسند لهن وظائف أو مهام سياسية مرتبطة بنسوتهن مثل الوظائف الاجتماعية والعائلية في الحكومات، ولم نشهد إلى حد الآن مسئولات عربيات في وزارات الدفاع أو الداخلية أو العدل... وتكون النتيجة الحتمية لهذه النظرة الدونيّة خوف النساء من تحمل المسؤوليات السياسية وعدولهن عن القيام بمهام تتطلب

الخروج من البيت والبقاء خارجه مدة طويلة وعدم الرغبة في الانضمام إلى الأحزاب السياسية أو الجمعيات غير الحكومية.

وإلى جانب كلّ هذه الأسباب الموضوعية والذاتية لابد أن نضيف سببين رئيسين.

السبب الأول يتعلّق بارتفاع نسبة الأمية النسائية في العالم العربي رغم إلزامية التعليم ومجانيته في بعض البلدان. [1]أمّا السبب الثاني فهو يرجع إلى وجود ظاهرة عند النساء العربيات وتتمثل في قلة وعيهن بحقوقهن وبضرورة معرفة هذه الحقوق للتمتع بها وللنهوض بأوضاعهن القانونية. كلّ هذه الأسباب المختلفة والمتعدّدة تقف حاجزا أمام مشاركة النساء في العمل السياسي[2]

الهوامش والمراجع

(١) حصة:الهلالي،الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالدولة السعودية الثانية، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ ص٢٥٠. وكذلك الألوسي،محمود، تاريخ نجد، تحقيق محمد الأثري، القاهرة، ١٣٤٧هـ،ص١٥٥.

(٢) مها: العبدان، التغيير الاجتماعي ودور المرأة في المجتمع السعودي، جامعة الملك سعود،١٤٠٥هـ،ص٢٣٠.

(٣) حتشبسوت:بعد وفاة تحتمس الثاني أعلنت زوجته الملكة حتشبسوت نفسها وصية على عرش تحتمس الثالث. وبعد عامين، طالبت بالعرش لنفسها. وحتى يكون حكمها شرعيا، ادعت أنها ولدت من الرب آمون، حين تجسد في جسد أبيها تحتمس الأول، والتقى بأمها الملكة أحمس. وقد صورت حتشبسوت علي هيئة رجل يرتدي الزى الملكي، المكون من النقبة الملكية واللحية المستعارة . أثناء حكم حتشبسوت تمتعت مصر بالسلام في الداخل والخارج، وأرسلت حملات تجارية لأرض بونت، جنوب السودان أو إيريتريا، وبنت معبدها في الدير البحري. وقد سجلت على جدران معبدها أحداث حملاتها وأسطورة ولادتها الربانية. وبعد عشرين عاما من حكمها، اختفت حتشبسوت، وتم تدمير مقبرتيها.

(٤) كانت الملكة نفرتيتي زوجة الملك إخناتون، ولم تكن تجري في عروق أسرتها الدماء الملكية، ولكنها كانت مرتبطة بالقصر بطريقة ما. وكانت نفرتيتي تساند زوجها أثناء الإصلاحات الدينية والاجتماعية، ثم انتقلت معه إلى أخيتاتون أو تل العمارنة. وظهرت

معه أثناء الاحتفالات والطقوس، حتى في المناظر التقليدية للحملات العسكرية والتي صورت فيها وهى تقوم بالقضاء على الأعداء. ثم توفيت إحدى بناتهم وهى ميكيت-أتون، وقد صور حزنهم عليها في بعض الرسوم الحائطية. وبعد وفاة ابنتهم، اختفت نفرتيتى من البلاط الملكي وحلت ابنتها ميريت أتون محلها، وحصلت على لقب الزوجة الملكية العظمى. وقد توفيت نفرتيتي في العام الرابع عشر لحكم إخناتون، ومن الممكن أن تكون قد دفنت في مقبرتها بالمقابر الملكية، في تل العمارنة، ولكن لم يتم العثور على جسدها. وسبقتها في المكانة السياسية والزمنية تيتي شيري التي تمتعت بشخصية قوية وكانت ملمة بأمور السياسة والحكم وكان لها تأثير عميق في شخصية أحمس.

-ميرفت عبد الناصر: ايزيس وأخواتها، دار النهضة بالقاهرة،ط١،ص٣٥. وكذلك للاستزادة:-سيمون نايوفتس: مصر أصل الشجرة، ترجمة أحمد محمود،جزأين، القاهرة، ٢٠٠٣،

(٥) كليوباترة:ابنة الملك بطليموس الثاني عشر اوليتيس ، كان قد قدر لكليوباترا أن تصبح آخر ملكة للسلالة المقدونية التي حكمت مصر بين موت الاسكندر الأكبر في ٣٢٣ قبل الميلاد وضمها إلى روما في ٣٠ قبل الميلاد .أسس السلالة ضابط الكسندر بطليموس ، الذي أصبح الملك بطليموس الأول سوتر مصر. وقد كانت كليوباترا طموحة إلى

إعادة مجد مصر واستخدمت لذلك كافة إمكانياتها من دهاء وذكاء ومال فنجت في إدارتها السياسية إلى حد بعيد.

-زكي على: كليوباترة سيرتها وحكم التاريخ عليها،القاهرة، ١٩٥٨م، ٣٢.

-إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة،ج١، ط٤، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٥م،ص١٢٧.

(٦) زنوبيا او (الزباء) اسمها (الفارعة وقيل أنها ميسون أو (نائلة بنت مليح بن البراء) كانت ملكة تدمر،والشام والجزيرة وهي الزباء التي قيل عنها انها بنت عمرو بن الظرب بن حسان ابن أذينة بن السميدع ، وقد كانت زوجة لأذينية ملك تدمر المملكة الشامخة أيام عصرها في وسط سوريا، عندما اغتيل اذينة (عام ٢٦٧ م)، تولت المُلك باسم ابنها وهب اللات، وأصبحت زنوبيا ملكة الملكات وتولت عرش المملكة وازدهرت تدمر في عهدها، وأنشأت جيشا قويا فاستولت على العديد من البلدان وأصبحت تدمر طريقا تجاريا تاتيها القوافل من كل حدب وصوب فزاد ثراء المدينة ،واثر سقوط (الزباء) استولى (أورليان) على خزائن تدمر المليئة بالخزائن والمال والكنوز.

(٧)- ذكرت النصوص المسمارية الأشورية أسماء خمس ملكات عربيات حكمن في جهة الشمال من شبة الجزيرة العربية فيما بين أواسط القرن الثامن والسابع ق.م ولم يحدد مكان دولتهن صراحة، وأشارت المصادر إلى ملكتين عربيتين أطلق على كل منهما لقب ملكة أريبي وذكرت أقدمهما باسم زبيبي (تحريفا عن زبيبة)، والثانية عرفت باسم سمسي(تحريفا عن شمس) واعترفن بالطاعة لدولة أشور. وفي القرن السابع أشارت النصوص إلى ملكتين عربيتين أخرتين هما: (يتيئة وتلخونو) وهما تحريفا عن اسمي(يطيعه وتلهونه) وناصبن الأشوريين العداء. أما الملكة الخامسة فربطت النصوص الأشورية بين ملكة عربية أخرى وبين (أيا إيلو بن حزائيل) كحليفة له ، وذكرت هذه الملكة باسم (بائيلو) ملكة أخيلو وهذا الاسم تحريفا عن الاسم العربي (باهلة).

-عبد العزيز صالح:تاريخ شبة الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨م،ص١٣٧.

-الملكة بلقيس: تنسب الملكة بلقيس إلى الهدهاد بن شرحبيل من بني يعفر ، و هناك اختلاف كبير بين المراجع التاريخية في تحديد اسم ونسب هذه الملكة الحِمْيَرية اليمانية، كما أنه لا يوجد تأريخ لسنة ولادتها ووفاتها.وازدهر زمن حكم بلقيس مملكة سبأ أيمّا ازدهار، واستقرت البلاد أيمّا استقرار، وتمتع أهل اليمن بالرخاء و الحضارة والعمران والمدنية. كما حاربت بلقيس الأعداء ووطدت أركان ملكها بالعدل وساست قومها بالحكمة. ومما أذاع صيتها و حببها إلى الناس قيامها بترميم سد مأرب الذي كان قد نال منه الزمن وأهرم بنيانه ،وبلقيس هي أول ملكة اتخذت من سبأ مقراً لحكمها.على أنَّ أشهر

حادثة في حياة تلك الملكة هي زيارتها للنبي سليمان عليه السلام والقرآن الكريم قد نص على هذه الحادثة، وما كان من كلام الهدهد وكلام بلقيس وكلام سليمان وإسلامها مع سليمان لله رب العالمين .

-الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية) (ج١ /ص ٥٤٢).

وكذلك:

-دائرة المعارف الاسلامية: سبأ، ج١١، ص١٦٨-١٦٩. وكذلك:

-الهمداني: الاكليل،ج٨، بغداد، ١٩٣١،ص٢٤.

(٨) د.نبيه العاقل – تاريخ العصر الجاهلي _ جامعة دمشق

(٩) الشروط الواردة: انظر:القرآن الكريم، في سورة الممتحنة، آية١٢.

وتسمى بيعة عينية أو بيعة العقيدة: واجبة على كل مسلم ومسلمة، وهي البيعة على العقيدة والأخلاق الاجتماعية والإسلامية، وقد أخذها الرسول –صلى الله عليه وسلم- قبل وبعد تأسيس الدولة ولم تختلف صيغتها، وسميت اصطلاحا "بيعة النساء" لورود نصها في القرآن في سورة الممتحنة في سياق الحديث عن مبايعة النساء لرسول الله، وهي البيعة التي ميزت الدولة الإسلامية عن مجتمع الجاهلية واعتبرها البعض دليل وجود التنظيم السياسي للمجتمع الإسلامي لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية" [١]، وهي البيعة التي ترتبط بموضوعي "الإمامة" و"الخروج".

وتجدر الإشارة إلى أن صيغة النساء في "سورة الممتحنة" جاءت على مثل ما بايع عليه رسول الله أصحاب بيعة العقبة قبل الهجرة، وأن هذه الصيغة نزلت عام الحديبية، ويلاحظ أن اشتراط الرسول بعض

الأمور الأخلاقية عند البيعة كعدم نياحة النساء أو عدم إتيان أمور معينة بالنسبة للرجال كان لاختلاف العادات ولمعرفة رسول الله بكل مبايع وطباعه، وهي أمور يضبطها العرف والقانون في الدولة الإسلامية ولا تعد بيعة على أمر خاص(٢).

(١٠) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، جـ١٢، ص ٢٤٠.

(١١). محمد علي قطب: بيعة النساء للنبي صلى الله عليه وسلم، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٢.

(١٢) كانت تمتلك سمات رفيعة، يندر وجودها لدى النساء في عصرها، وكانت مثقفة متعلمة، تخصصت في معالجة الأبدان.أسلمت قبل الهجرة، وكانت تُرْقِى في الجاهلية، فلما هاجرت إلى المدينة جاءت إلى النبي (فقالت: يا رسول اللَّه إني كنت أرقى بِرُقًى في الجاهلية، وأردت أن أعرضها عليك. فقال (: "اعرضيها". قالت :فعرضتها عليه، وكانت رقية من لدغة النملة، وهى قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد.فقال: "ارقي بها وعلميها حفصة .وكان لها دور بارز في مجال التعليم ومعالجة القروح والأمراض؛ لذا خصص لها رسول اللَّه (دارًا بالمدينة تقديرًا لدورها الاجتماعي، وكانت تعيش فيها هي وابنها سليمان، وأصبحت تلك الدار مركزًا علميًا للنساء، تعلمت فيها الكثيرات من نساء المؤمنين تعاليم الدين، بالإضافة إلى القراءة والكتابة والطب، وكان من بين المتعلمات السيدة حفصة زوجة الرسول صلى الله علية وسلم .)وحرص خلفاء المسلمين بعد رسول الله على احترام مكانة الشَّفَّاء وتقديرها، فقد روى أن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- كان يقدمها

في الرأي، ويقبل نصائحها، ويقدم لها ما تحتاجه من عون وبِرّ.إنها الصحابية "الشفاء بنت عبد الله القرشى العدوي"، وأمها فاطمة بنت وهب بن عمر المخزومية، وقيل اسمها ليلى لكن غلب عليها لقب "الشفاء". وقد روت "الشفاء" رضي اللّه عنها عن النبي (، وروى عنها كثيرون. وتوفيت -رضي اللّه عنها- سنة عشرين للهجرة، في خلافة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه

(١٣) د.ليلى بيومي،الدور السياسي للمرأة بين المنح والمنع(٢/١)،القاهرة، ١٤٢٤.

(١٤) أسماء محمد أحمد زيادة، دور المرأة السياسي في عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة القاهرة.

(١٥) الخاتون ست الشام:هي بنت الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي ، وأخت السلطان صلاح الدين الأيوبي، كانت متزوجة من أحد كبار الأمراء ويدعى لاجين، وبعد وفاته تزوجت ست الشام من ابن عمها ناصر الدين محمد بن شيركوة صاحب حمص، وتوفيت ست الشام ف ٦١٦هـ.

-الشاعر، منى: خاتونات البيت الأيوبي ودورهن السياسي والاجتماعي والعلمي ، القاهرة، ١٤٢٤هـ،ص٧٤.

(١٦) الصاحبة ضيفة خاتون:وهي إحدى بنات السلطان العادل سيف الدين أبو بكر، شقيقها الملك الكامل محمد الذي كان مقيما في

مصر،ولها من الشقيقات غازية خاتون، مؤنسة خاتون، وزهرة خاتون،ساست الأمور في حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز،وقامت بها خير قيام ، وتوفيت بعد معاناة مع المرض عام ٦٤٠هـ.

- الشاعر، خاتونات البيت الأيوبي،٥٨ص.

(١٧) كلمة تركية الأصل ومعناها الكبر في السن ، وقيل أنها من الكلمة الفارسية " أقا" ، وتطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة وعلى الخادم الخصي الذي يؤذن له بدخول غرف النساء. وأطلق عليهم في بعض المصادر لقب "أغا الحرم" وهم المخصيون من الرجال العاملين في الأقسام الخاصة بالنساء من القصور السلطانية، وكان لهم مناصبهم ودرجاتهم في القصر،وكان أكثرهم من الحبشة والزنوج.

-سهيل صابان:المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،الرياض، ١٤٢١هـ، ص١٧.

-كذلك:أحمد سليمان:تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل،دار المعارف،١٩٧٩، ص ١٧

(١٨) كبرى موظفات الحريم السلطاني، ومن ضمن اختصاصاتها تنظيم الأوقات التي يقضيها السلطان مع ساكنات دوائر الحريم سواء في الليل أو في النهار، وعلى نزهاته مع البعض منهن في حدائق أجنحة الحريم.

(١٩) هؤلاء السلاطين السبعة هم: (عثمان الأول، أور خان بن عثمان، مراد الأول ابن مرخان،، أبي يزيد الأول المعروف بالبرق وابن مراد الأول، محمد الأول ابن يزيد الأول،مراد الثاني ابن محمد الأول، محمد الفاتح ابن مراد الثاني).

(٢٠) كان الحصول على الجواري من ثلاث مصادر هي:

-شرائهن من تجار الرقيق بعد الحصول عليهن من الحرب كأسيرات، خطف البنات عن طريق تجار النخاسة في أوروبا وآسيا، عن طريق هدايا خاصة تعطى للسلطان بعد أن يتلقين قدرا معينا من العلم والمهارات المفيدة لها.

(٢١) تعني بالتركية السيدة ذات المركز الاجتماعي المرموق، ومن الألقاب التي تطلق عليهن حسب تدرجهن(بيوك، ايكنجي، أورتنجة، كجوك).

(٢٢) كدكلي:احدى الوظائف التي كانت تشغلها جواري القصر، والتي ترتقي منها إلى أن تصبح نديمة من نديمات السلطان ومنها الى أن تصبح زوجة من زوجاته. سهيل: مرجع سابق، ص ١٩١.

(٢٣) شاكر زادة:وتعني كلمة شاكر عامة طالب العلم ومن تجاوز فترة التدريب، وكان لقب شاكر زادة يطلق على الجواري اللاتي أنهين فترة التدريب في القصر. سهيل: مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢٤) كخيا: أو كتخدا تأخذ نفس المعنى وهو صاحب البيت، وهو في الأصل فارسي اصطلح على استخدامه على من يعمل نائبا أو قائما بالأعمال، واستعملت في التركية بمعنى القيم على الشؤون المالية بصفة خاصة، وحرفت الكلمة إلى كخيا. سهيل: مرجع سابق، ص ١٨٨.

(٢٥) يستثنى من ذلك ثلاثة سلاطين حكموا بعد سليمان المشرع وهؤلاء هم:

-محمد الثالث(١٥٩٦-١٦٠٣م) الذي خرج على رأس جيشه في معركة كيريزتس انتصر فيها العثمانيين على الأوروبيين.

-عثمان الثاني(١٦١٨- ١٦٢٢م) خرج على رأس جيشه لمحاربة البولنديين المعتدين على حدود بلادة فهزمهم ودفعوا له جزية سنوية.

-مراد الرابع(١٦٢٣-١٦٤٠م) خرج على رأس جيشه لمحاربة الصفويين في فارس فتوجه إليهم وحاصر بغداد ثم استولى على العراق وحد الحدود بين الدولتين بعد أن عقد معهم معاهدة صلح أطلق علية اسم صلح استانبول الثاني.

(٢٦) عبد العزيز الشناوي:الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج١،مكتبة الأنجلو،القاهرة،١٣٩٨،ص٥٩٩.

(٢٧) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة - ترجمة صالح سعداوي مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ،إستانبول، ١٩٩٩م. ص١٣٤ وكذلك:

ليلى الصباغ – سورية في العهد العثماني – دمشق ١٩٧٣

(٢٨) ابن غنام "تاريخ نجد" تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ص٣١٦.

(٢٩) المرأة في حياة إمام الدعوة ،الشيخ محمد بن عبدا لوهاب، تأليف: فضيلة الشيخ: حمد الجاسر، مجلة العرب يوليو/أغسطس، ١٩٨٠م،ص٢٨٧.

(٣٠) صاحبة الهجرتين:لقد هاجرت فاطمة بعد سقوط الدولة السعودية الأولى مثل بقية أفراد أسرتها من آل الشيخ – كانت فاطمة من بين هؤلاء حيث خرجت مع ابن أخيها علي ابن حسين. ويبيّن عثمان بن عبدا لله بن بشر أن علي بن حسين كان في منتصف صفر ١٢٣٥هـ/ الأول من ديسمبر ١٨١٩م في رأس الخيمة، حين قدم إليها البريطانيون بحملتهم الثالثة على القواسم فهرب منها.في حين يبيّن هاري سنت جون

فيلبي H. St . John Philby أنه خرج من الدرعية إلى قطر ومنها توجه إلى عمان.وأما عبدا لرحمن بن عبدا للطيف آل الشيخ فيقول: إن علي بن حسين هرب إلى عمان وقطر وأقام فيها، ويظهر من كلام آل الشيخ أن علياً ذهب إلى عمان ثم قطر التي أقام فيها. وهو على عكس رأي فيلبي.ويذكر حمد الجاسر : أن فاطمة انتقلت إلى عمان مع علي بن حسين بعد سقوط الدرعية. وفي اعتقادنا أن علي بن حسين ومعه فاطمة توجها بعد خروجهما من الدرعية إلى رأس الخيمة نظراً للارتباط السياسي الذي كان قائماً بين الدرعية ورأس الخيمة، إذ كان القواسم من الناحية السياسية تابعين للدولة السعودية الأولى، وبعد هجوم البريطانيين عليهم (أي القواسم) خرج علي بن حسنين ومعه فاطمة إلى عمان، ولذلك سميت فاطمة ب "صاحبة الهجرتين "، وفي اعتقادنا أيضاً أن هذه التسمية أطلقت عليها لخروجها إلى رأس الخيمة مقصداً لهجرتها الأولى، ثم إلى عمان مقصد هجرتها الأخرى.وفي عمان عملت فاطمة على نشر العقيدة السلفية بين العمانيين طوال فترة إقامتها هناك، وعندما استقرت أحوال نجد بتأسيس الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدا لله (١٢٤٠- ١٢٤٩ هـ/١٨٣٤-١٨٢٥م) عادت إلى الرياض مع ابن أخيها " يا لها من هجرة وفرار من أجل الدين .. وثبات على العقيدة.

انظر-للاستزادة يراجع:علماء نجد في ستة قرون للشيخ عبد الله البسام رحمه الله ،ص ٢٨٤. كذلك:

.د . أحمد بن عبد الله الباتلي، دور المرأة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، مجلة الجندي

المسلم، العدد ١٣١، تاريخ ٢٠٠٨/٦/١.

(٣١) الموركة: هم قسم من أقسام قبيلة البقوم والتي تنتشر من جبل حضن حتى أطراف تربة والخرمة.

انظر:حمزة، فؤاد: قلب جزيرة العرب، مكتبة النصر الحديثة،الرياض،١٣٨٨هـ ط٢،ص١٣٩.

(٣٢) هو عثمان بن عبد الرحمن المضايفي من العبيلا،ومن قبيلة عدوان المشهورة بالطائف،وكان صهرا للشريف غالب بن مساعد ومن أكبر أعوانه وقوادة ،لكنة بعد نقض الصلح بين الشريف غالب وبين إمام الدرعية عبد العزيز سنة ١٢١٧هـ انضم المضايفي إلى الإمام عبد العزيز وأصبح من أكبر قوادة، قتل عثمان عام ١٢٢٨هـ في إحدى المعارك ضد الأشراف, انظر:ابن بشر، ج١،ص٣٣٤/٣٣٥

(٣٢) وهي معركة حدثت عام ١٢٢٨هـ بين العساكر المصرية من مكة والطائف بقيادة مصطفى بيك ،وانهزم الأتراك شر هزيمة أمام أهل تربة وأميرتهم، فغضب الباشا على تلك الهزيمة وأمر بانسحاب مصطفى بيك إلى مصر فورا. انظر : الجبرتي، المجلد الرابع، حوادث سنة ١٢٢٩هـ، كذلك انظر ابن بشر: ج١، ص٣٣٤.

(٣٣) وهي معركة حدثت عام ١٢٢٩هـ بين الأتراك بقيادة طوسون باشا وبين أهل تربة التي حوصرت أربعة أيام ولم يستطيعوا دخولها بسبب بسالة أميرتهم خاصة أن طوسون وعساكره الضخمة كانت مستعدة لمثل هذا الحصار الذي انهزما فيه وانسحبوا عن تربة. انظر، ابن بشر: ج١، ص٣٣٩.

(٣٤) ابن بشر،ج١،ص٣٦٨.

معركة بسل:تنسب إلى قصر بسل المعروف عن وادي كبير يقع شرقي الطائف، ذا مزارع وبساتين وفواكه، وقصر بسل المعروف هو القصر الذي بناة الأمير سعود بن عبد العزيز، ودارت حوله معركة عام ١٢٢٨هـ بين الشريف غالب وبين جيش الأمير السعودي بقيادة عثمان المضايفي، حيث انتصر جيش غالب وقتل عثمان المضايفي بعد أن خسر معركته. انظر، ابن بشر: ج١، ص٣٣٤,

(٣٥) انظر عن غالية :لمحمد بسام النجدي: الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر،تحقيق سعود العجمي، ط١،دمشق،١٤٠١هـ.

(٣٦) مجلة "العرب" س٥ ص٨٠٠ وس٦ ص٣٩٤ و"الأعلام" للزر كلي حرف الغين - ومجلة "الزهراء" ج١ ص١١٨ وتاريخ الجبرتي حوادث سنة ١٢٢٩هـ . وكذلك: "البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر" ج١ ص ١٨٨/١٨٧/١٧٣ تأليف محمود فهمي المهندس المتوفى في سيلان سنة ١٣١١هـ، ج١ ص١٨٧ وما بعدها.

(٣٧) عنوان المجد" ج٢ ص٥٧/٤٢ طبعة وزارة المعارف.

(٣٨) سورة البقرة آية: ٢١٦.

(٣٩) ابن غنام: "تاريخ نجد": ٨٠.

(٤٠) عنوان المجد" ج١ ص٢٤ - طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ (١٩٧١م).

(٤١) ابن بشر، ج١،ص٤١.

(٤٢) ابن بشر، ج١،ص٤٢.

(٤٣) عنوان المجد" ج٢ ص٢٣٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١ هـ ١٩٧١م).

(٤٤) المصدر السابق.

(٤٥) غصيبة: محلة في أعلى الدرعية,يقع على رأس جبل ، كانت سكنا خاصا لآل مقرن ،لكن بعد اتسع مسمى الدرعية وشمل ماهو أرحب رقعة وأكثر سكانا انحصر اسم في حيها المعروف ، وأصبحت غصيبة فيما بعد حيا لآل دغيثر،وقد أقام الإمام سعود قصرا محكما في حي غصيبة، وكانت ذات أسوار منيعة.

انظر :ابن خميس، عبدالله بن خميس:معجم اليمامة(المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية)ج٢،ط١،مطابع الفرزدق، ١٣٩٨هـ،ص٢٢٤.

(٤٦) كتاب "الشيخ محمد بن عبد الوهاب" ص٤٧ مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ.

(٤٧) الزركلي، خير الدين: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، ط٣،ج١، بيروت، ١٩٨٥م،ص٧٨،٧٩

(٤٨) Dickson, P 401 وكذلك: فيلبي، هاري سنت، الذكرى العربية،ص٣٨٠.

(٤٩) لزر كلي:مرجع سابق ،ص٧٨،٧٩

(٥٠) العبد المحسن، إبراهيم بن عبيد: تذكرة أولي النهى والعرفان وذكر حوادث الزمان، ط١،ج٣، الرياض ،د ت ، ص١٩٠

(٥١) غازي الخليلي: المرأة الفلسطينية والثورة ، القدس، ١٩٧٦م، ص٥٤. وكذلك:

دائرة الإحصاء الفلسطينية: المرأة والرجل في فلسطين: اتجاهات وإحصاءات، ١٩٩٨، ص ١٥٩ــ١٨٤.

(٥٢) نعومي صقر، النساء والإعلام في الشرق الأوسط، الطبعة: الأولى ٢٠٠٤م-الناشر: أي.بي تاوريس, لندن،ص٤٨. كذلك الاستفادة من الشبكة العنكبوتية.

(٥٣) الهادي إبراهيم المشيرقي: قصتي مع ثورة المليون شهيد, (مذكرات), ط١, دار الأمة, الجزائر: ٢٠٠٠م, ص: ٣٩٢.

(٥٤) آمال سليمان محمود العبيدي ،تطور حركة المرأة في المجتمع الليبي بين التمكين والتفعيل: دراسة توثيقية ،القدس العربي - ٢٠٠٦/٤/٢٥.وكذلك: أحمد توفيق المدني: حياة كفاح, ج٣, الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر: ١٩٨١, ص: ٢٦٠.

(٥٥) جميلة بوحيرد: من مواليد ١٩٣٥م بمدينة الجزائر حي القصبة, انخرطت بالثورة في بداية ١٩٥٦م و هي تلميذة. عملت بالمجموعات المسلحة, قامت بنقل الأسلحة, و وضع القنابل بأماكن يرتادها غلاة المستعمرين. اعتقلت في ١٩٥٧/٠٤/٠٩م بعد إطلاق النار عليها في شوارع العاصمة, إثر مطاردة لها من طرف رجال الجيش الفرنسي. سامها المظليون الفرنسيون أشد أنواع العذاب وحشية. نشر عنها كتاب عنوانه "جميلة بوحيرد" محاميها الأستاذ فيرجيس بالتعاون مع الكاتب الفرنسي جورج ارنو. انتشرت قضيتها بالعالم و من خلالها قضية نضال المرأة الجزائرية. أولى الجميلات الثلاث التي تردد أسمها بالعالم و خاصة بأقطار الوطن العربي. أطلق سراحها مع وقف القتال. وأم لطفلين .

-جميلة بوباشا: من مواليد ١٩٣٨م بمدينة الجزائر. انضمت للثورة عام ١٩٥٥م و هي تلميذة. كان دورها نقل الأدوية و الوثائق للثوار, و إيواء المناضلين المطاردين. اعتقلت بالعاصمة في: ١٩٦٠/٠٩/٠٩م سيمت سائر أنواع التعذيب التي يمكن أن تسلط على إنسانة, بقيت رهينة السجن إلى أن أطلق سراحها مع وقف القتال. ألفت عنها الكاتبتان الفرنسيتان " سيمون دي بوفوار, و جيزيل حليمي" محاميتها, كتابا عنوانه: "جميلة بوباشا " هي عضو بالمجلس التنفيذي لمنظمة المجاهدين. وأم لثلاثة أطفال.

-جميلة بوعزة: من مواليد العفرون بالبليدة عام ١٩٣٧م انخرطت بالثورة عام ١٩٥٦م و هي طالبة بالثانوية. عملت بالمجموعات المسلحة بالعاصمة. وضعت عدة قنابل في أماكن يرتادها غلاة المستعمرين, أهمها القنبلة التي انفجرت في حفل راقص (بالكوكاردي) فقتلت أكثر من ٢٠ فرنسيا و جرحت ٨٩ وذلك سنة ١٩٥٧م. رسمت صورتها أجهزة المخابرات الفرنسية من وصف مشاهديها, و تتبعتها إلى أن تم اعتقالها في آ فريل ١٩٥٧م. سامها رجال المظلات الفرنسيون سائر أنواع التعذيب و أبشعها و أكثر وحشية و همجية, وتنقلت بين عدة سجون, آخرها سجن < نسوة > بفرنسا. وأطلق سراحها مع وقف القتال عام ١٩٦٢م, عندما كانت الصحف العربية و العالمية تنشر عن جميلة بالخمسينيات, كانت تضع أحيانا صورة جميلة بوحيرد وأحيانا أخرى صورتها, وهي أم لثلاثة أطفال.

_عثمان سعدي : الثورة الجزائرية في الشعر العراقي،رسالة دكتوراة من جزأين،الجزائر, ص: ٢٤٠.

- نـزار قبـاني: جميلـة بـوحيرد, مجلـة الآداب العـدد: ٤٠ بيـروت, لبنان: ١٩٥٨م ص: ٠١.

(٥٦) المعهـد العربـي لحقـوق الإنـسان – البـرامج المتعلقـة بالكتـب والمناهج التعليمية في البلدان العربيـة، الجـزء الأول خـاص بالمدرسـة الأساسية، تـونس ١٩٩٩، الجـزء الثـاني خـاص بـالتعليم الثـانوي – تونس ٢٠٠٢. وكـذلك : –هـشام شـرابي، النظـام الأبـوي وإشـكالية تخلف المجتمـع العربـي ، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيـروت ١٩٩٢.

(٥٧)R.Ben Achour, Femmes et constitutions – icolloque sur la non discrimination à l'égard des femmes enre la convention de Copenhagen et le discours identitaire. Tunis CERP – UNESCO, 1989, p.155

(٥٨) أوراس سلطان ناجي، تحـد صـعب وتجربـة – تجربـة شخـصية عن انتخابات اليمن، نـدوة المـرأة والمـشاركة الـسياسية فـي العـالم، عمان – جويليه / تموز ١٩٩٧. ص١٣٤.

(٥٩) فهيمـه شـرف الـدين، مـشاركة المـرأة اللبنانيـة فـي الحيـاة السياسية الواقع والآفاق، دراسة مقدمـة إلـى المعهـد العربـي لحقـوق الإنسان، تونس ٢٠٠٢ ،ص٥٤.

(٦٠) تصل في بعض الدول العربية نـسبة الأميـة إلـى ٦٠ فـي المئـة من النـساء – انظـر اليونـسكو – الكتـاب الإحـصائي الـسنوي ١٩٩٨ وبرنامج الأمم المتحـدة الإنمـائي – تقريـر التنميـة الإنـسانية العربيـة لعام ٢٠٠٢، ص ٤٧– ٥٩